

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة عمار ثليجي الأنواط  
كلية العلوم الانسانية و العلوم الاسلامية والحضارة  
قسم العلوم الإنسانية

الموضوع:

# الحملة الصليبية السابعة على

١٠٠٠

مذكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة الماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ وسيط

تحت إشرافه

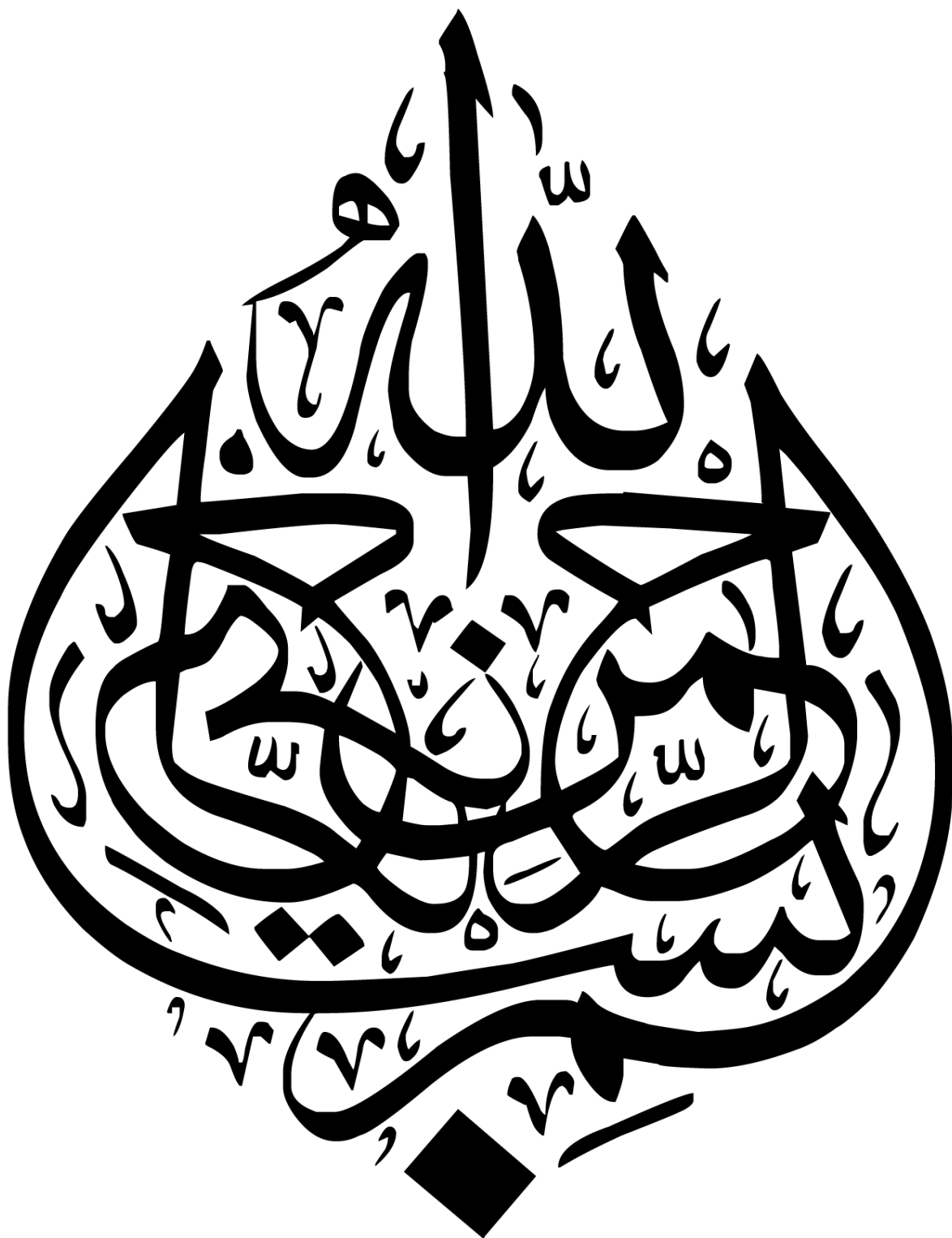
- بومدين كعبوش

من إعداد الطالبتان :

الأستاذ:

- عماري حنان  
- زهيرة حورية

السنة الجامعية: 1438-1439هـ / 2017-2018م



# شكر وتقدير

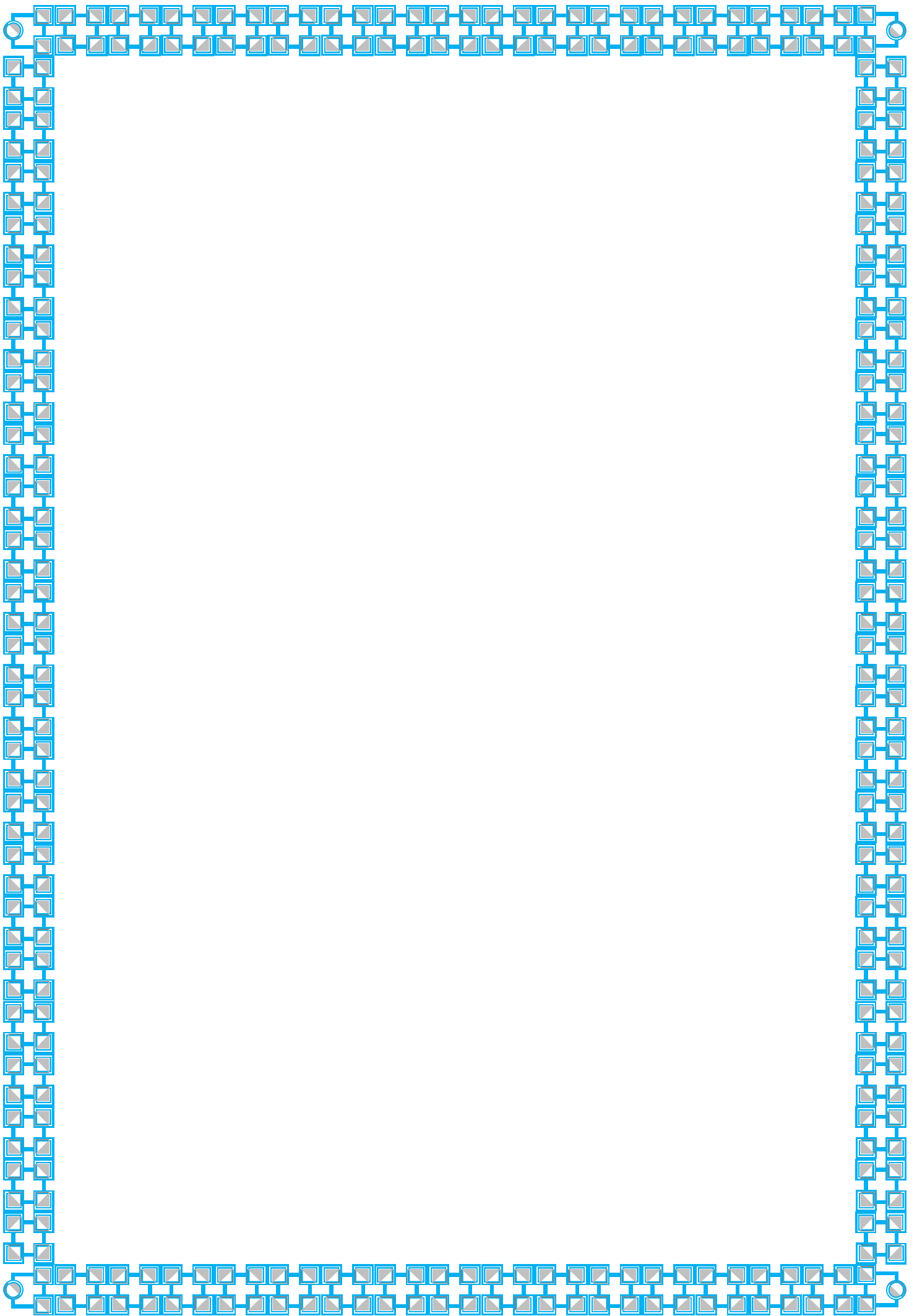
(ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي ، وأن أعمل صالحا

ترضاه و أحدظني برحمتك في عبادة الصالحين) النمل الآية 19

الشكر لله كله، فله الحمد والمنّ على توفيقه له=نا وتسديد خطانا لإتمام هذا العمل المتواضع.

إلى كل من قال فيهما الله عزّ وجلّ : (إنخفض لهما جناح الذلّ من الرحمة وقلّ ربي إرحمهما كما ربياني صغيرا)، وأفضل ما أكرمني الله به أمي التي أنارت دربي بدعواتها ونصائحها والتي يعجز اللسان والقلب عن شكرها ، وأبي الذي أفنى من عمره السنين في سبيل تعليمي ونجاحي ، أطال الله في عمرهما و حفظهما.

أتقدم بخالص الشكر والعرفان للأستاذ



# إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين  
أهدي هذا العمل إلى روح أخي عبد الباقي وزوجته فاطمة رحمهما الله  
وتغفر لهما.

إلى إخوتي وأخواتي رعاهم الله: فاطمة، فريجة، عيشة، بن داود، عطا  
الله، خديجة، سامية،

إلى الأحفاد حفظهم الله عز وجل: محمد، أبو بكر، فايزة، جهاد، أسامة،  
عدنان، أشرف، أحمد، زينب، عطا الله، خليفة، رهنه، فاطمة.

إلى كل زملاء دربي في الدراسة و إلى كل من ساهم في هذا البحث ولو  
بكلمة تشجيع وتوجيه، وإلى كل من هم في ذاكرتي وليسوا في  
مذكرتي من الذين عرفتك وصادقتك و أحببتك و إلى كل حاملي مشعل  
العلم والمعرفة من أساتذة و طلبة، و إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي.

عمار بن حنان

# إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين  
اولا وقبل كل شيء، الحمد لله الذي و فقني في اتمام هذا العمل  
المتواضع، فأهدي ثمرة هذه المذكرة الى والدي اللذان ساهما في  
تشجيعي طوال مساري الدراسي، كما لا أنسى الذي دعمني كل الدعم  
لإنجاز هذه المذكرة، و الى كل عائلتي بما فيها من أحفاد و كذا جميع  
اساتذة دربي اللذين ساهموا في تشجيعي و دعمي.

زروقي حورية

فهرس

الموضوعات

الصفحة	العنوان
	تشكر
	إهداء
7-1	مقدمة.....
<b>الفصل الأول :أوضاع العالمين الإسلامي و المسيحي قبيل الحملة الصليبية السابعة</b>	
09	المبحث الأول : أوضاع العالم الإسلامي.....
21	المبحث الثاني : أوضاع العالم المسيحي.....
31	المبحث الثالث: الحملة الصليبية الخامسة والسادسة.....
<b>الفصل الثاني : الحملة الصليبية السابعة</b>	
45	المبحث الأول : أسباب الحملة.....
50	المبحث الثاني : الإعداد للحملة.....
55	المبحث الثالث : احتلال دمياط.....
62	المبحث الرابع : معركة المنصورة و تورنشاه يقود المعركة.....
<b>الفصل الثالث : نهاية الحملة الصليبية السابعة</b>	
68	المبحث الأول : أسباب الهزيمة.....
81	المبحث الثاني : نتائج الحملة الصليبية السابعة.....
91	خاتمة.....
96	البيلوغرافية.....
105	الملاحق.....

تعتبر الحروب الصليبية علامة من أبرز العلامات، وحدثا من أكبر الحوادث في التاريخ الاسلامي كله بل لا نبالغ اذا قلنا من أكبر حوادث التاريخ العالمي.

فالذي فكر في الحروب الصليبية ( او الحملات الصليبية) و الذي قام بها هو الغرب المسيحي بتحريض وتوجيه من البابوية السلطة الكبرى في أوروبا في ذلك الوقت بغرض الاستيلاء على المقدسات المسيحية في فلسطين و خاصة مدينة القدس التي تتعرض اليوم في ظل الاحتلال الاسرائيلي لنفس ما تعرضت له منذ تسعة قرون.

بدأت الحروب الصليبية في اواخر القرن الحادي عشر الميلادي ( اواخر القرن الخامس الهجري، و استمرت حتى اواخر القرن الثالث عشر الميلادي اواخر القرن السابع الهجري). دون أن تدخل في اعتبارنا زمن تصفية الوجود الصليبي.

من الطبيعي أن يقوم أوربي اتباع مثل هذا المنهج، بالرغم ما فيه من تضليل و تغافل عن حقيقة الأمور و وقائع التاريخ، ذلك أن الجيوش والجموع الصليبية عنما وصلت الشام لم تكن أول القوات النصرانية - دافعها الاساسي الديني- تغزو هذه البلاد، ثم لم يكن للفرنجية- خاصة في جيش البارونات- يتعرفون لأول مرة على آسيا الصغرى و أعالي بلاد الرافدين، ذلك لأن عددا كبيرا من الفرنجية كانوا قد خدموا كمرتزقة الجيوش البيزنطية، وقاتلوا ضد المسلمين في الشرق و عرفوا طرائق الحرب و فنون القتال لديهم وما ورد في خطبة البابا اوريان الثاني- المبشر الأول للحروب الصليبية- من نصائح القتالية له برهان كاف للتدليل على صحة هذا ولا حاجة للتذكير لأن الفرنجي الذي لم يسبق له القتال ضد مشاركة المسلمين ربما كان قد نال حطة فب القتال ضد المغاربة. لا ريب أن الحملات الصليبية كانت حلقة من حلقات الصراع بين الاسلام و المسيحية، لكن الأوربي، مهما تجرد تبقى هذه الحروب جزء من تاريخه و أمجاده- خاصة في عصر المناداة للوحدة الأوربية- ورجالها هم أبطاله نشأ على حبهم واتخاذهم مثلا أعلى اذا قام الباحثون الأوربيون- سواء عن ادراك وقصد أو بدون ادراك وقصد- بتمجيد رجال الصليبيين فأضفوا عليهم صورا من القدرة والشجاعة والطاقت هي في الكثير من الأحيان فوق صفات العادية للبشر مع أن واقع الحال لم يكن هكذا ابدا. فالصليبيون كانوا بشرا أدنى من سواهم ثقافتا وحضارة وحتى شجاعتا و عرفنا لفنون القتال، ولقد انتصروا، حين وصلوا بلاد الشام، لا لأنهم تمتعوا بصفات التفوق، بل لأن الخصم الذي واجهوه كان

من التفكك و الهزال بحال لا يستطيع معه أن يصمد لهبات الخسيم العليم. فما بالك في بعض الرياح العاتية؟.

في نصف القرن الذي سبق مجيء الصليبيين كان العالم الاسلامي يعيش في حالة من الفوضى والدمار لا نظير لها، ولقد نشأت هذه الحالة عن هجرة الغزو البداءة الى التوسع السلجوقي، وطالما أن مسرح الحروب الصليبية كان في بلاد الشام والجزيرة فلننظر بإمعان الى حال هذين البلدين قبيل مجيء الصليبيين، واذا فعلنا هذا نجد الشام و الجزيرة مثل الشطرنج فيه رقع كثيرة فيها دمي متفاوتة الحجم متصارعة دائما، ولقد سهل هذا التمزق مهمة الغزو عندما دخلوا الشام مفيد أن نتذكر هنا بأن البابا أوربان الثاني، ند ما بشر بالحروب الصليبية و دعا لها كان مدفوعا بشكل رئيسي للعمل على اتجاه بيزنطة النصرانية من الغزو المسلمين و ربما و بالتالي ايجاد فرصة لتوحيد الكنيستين الكاثوليكية و الأرثوذكسية تحت زعامة خلفاء القديس بطرس، وجدير أن نذكر هنا أن الصليبيين قد وصلوا الشام جمعا واحدا، ولكن ما أن توغلوا فيه و انتزعوا بعض أرضية حتى فرض عليهم طبيعة في التفرق، فانقسموا الى عدة دويلات، وبما أن كثيرا من صليبي الحملة الأولى قد استقروا في الشام، فقد انجبا هناك جيلا جديدا قد تمتع بصفات الصليبيين مؤلفا من مجموعتين متميزين ، هما مجموعة البلدين ومجموعة البلدين ومجموعة الوافدين و بالإضافة الى هذا فقد قام بين الصليبيين تنظيمات غالبا ما كانت ذات صبغة عسكرية وذات مطامح سياسية. ولقد تعقد هذا الوضع مع مرور الزمن ازدادت الفرقة عمقا و الخلافات حدة، وزالت من بين الصليبيين الروح التي وجدت في الحملة الأولى خاصتا بين صفوف الفقراء منهم.

وفي الوقت الذي حصل فيه هذا بين صفوف الصليبيين كان المسلمين قد اصابهم انقلاب هائل أيضا، حيث أن الضربة التي تلقوها رافقتهم من رقدتهم وأثبت العقيد من منهم الى رشدتهم، وزالت القيادات القديمة وتكونت قيادات جديدة، وخلق إنسان جديد مع روح جديدة و لقد ظهر هذا خاصتا زمن نور الدين محمود ابن زنكي حيث عاش الناس مع الجهاد، نبذوا الفرقة، وجاهدوا من أجل الوحدة، و لقد استطاعت القيادات الجديدة مع الأنسان الجديد المتشبع بروح الجهاد الجديدة احلال الوحدة بين المسلمين وازالة الفرقة، فتحدت الموصل مع حلب، فزالت بفضل مصر وازالة الخلافة الفاطمية.

وهكذا استطاع المسلمون نيل النصل في حطين واسترداد القدس، ثم قامت مصر التي دخلت إليها الروح الجديدة لتحمل تبعات تصفية الصليبيين وقامت مع الشام بالتصدي للخطر المغولي فهزمته في عين جالوت...

ان الحروب الصليبية التي تمثل دورها في تاريخ الشرق والغرب، وصورا من الصراع بين الإسلام والمسيحية، لم تلقى إعتناء خاصا من كتاب العربية الا في العصور الاخيرة، اذ اتجهت إليها الأنظار بالدراسة الخاصة التفصيلية، ولعل لمجريات هذه العصور أثر في هذا الالتفات الى صفحة هامة من صفحات التاريخ الإسلامي. هذا زيادتا عن سير المناهج الجامعية في البحث والاختصاص في ناحيتي الدراسة والإنتاج.

أما في الكتب القديمة فهي مبعثرة هنا وهناك تسجل وتذكر تبعا للأحداث العامة، أو هي مسجلة لبعض الفصول منها: في اختصاص التأليف بشخص أو دولة ولم تكن تلك الكتب القديمة تسميها بهذا الاسم ( الحروب الصليبية). انما هذا إطلاق افرنجي لتلك الحروب راج في الشرق اخيرا بعد هذا الاتصال الجديد بين العالمين.

وللكتب الحديثة دراسات متنوعة بصور مختلفة من صور هذه الحروب، إما قصدت بالبحث رأسا أو تبعا لدراسة بطل من أبطالها، أو اثر من أثارها.

### 1- أسباب اختيار الموضوع:

يعتبر موضوع حملات الصليبية بصفة عامة و الحملة الصليبية السابعة بصفة خاصة من المواضيع التي تجلب اهتمامها في التاريخ فحروب الفرنجة تمثل مرحلة مهمة من التاريخ الإسلامي الشرقي والمسيحي الغربي في العصور الوسطى لأن هذه الحملات و لدت ردود فعل غاضبة في نفوس المسلمين، وتعد الحرب الفرنجية السابعة من أهم الحملات ومختلفة عن غيرها عموما في أنها لم تكن شاملة لمختلف الأوربيين، بل فرنسية أغلبها من الفرنسيين لانصراف ألمانيا و إيطاليا، ومن هنا جاءت الرغبة في الغوص أكثر في هذه الحملة التي تميزت عن باقي الحروب الفرنجية الأخرى.

### 2- اشكالية البحث:

ما هي مجريات الحملة الصليبية السابعة على مصر و كيف كانت أوضاع العالمين الإسلامي و المسيحي قبيل اندلاعها؟ ولماذا قامت هذه الحملة؟ وماهي ابرز نتائجها؟

### 3- المنهج المتبع:

تطلبت منا هذه الدراسة أن نتبع المنهج الوصفي في ذكر الاحداث التاريخية بالإضافة الى المنهج التحليلي الذي يعتبر ضروريا في مثل هذه الدراسات

#### 4/- خطة البحث:

و للإجابة على هذه الاشكالية، وتحقيقا للأهداف الموجودة من البحث فقد قمنا بتقسيم خطة العمل الى فصل تمهيدي و ثلاثة فصول رئيسة بالإضافة الى المقدمة والخاتمة، أما الفصل التمهيدي: وسميناه الحملات الصليبية اما قبل الحملة السابعة و قسمناه الى ثلاثة مباحث، الاول: عرجنا فيه الى الحملة الصليبية الأولى و الثانية كيف كانت بداية الحملة الاولى و تحضيراتها و مجرياتها بالإضافة الى نتائجها التي كانت الخسارة فيها للمسلمين بحيث تم الاستيلاء على أنطاكية و طرابلس وبيت المقدس و الرها، وكذا الحملة الثانية التي تطرقنا فيها الى اسبابها و مجرياتها ونتائجها والثاني، عنوانه بالحملة الصليبية الثالثة و الرابعة، حيث استعرضنا فيه معركة حطين التي قضت على آمال الصليبيين بقيادة السلطات بقيادة السلطات صلاح الدين الايوبي و الحملة الثالثة التي كانت ردا على الهزيمة المنكرة للفرنج و كذلك عاجلنا الحملة الصليبية الرابعة التي كان مقرها القسطنطينية الا أن الهدف واحد الا و هو بيت المقدس لكن هذه الحملة أضعفت مركز الصليبيين في الشرق و الاسلامي وزعزعت مكانتهم ثم انتقلنا الى الحملة الفرنجية الخامسة و السادسة في المبحث الثالث: اولا تكلمنا على الحملة الفرنجية الخامسة و التي كانت في مصر وقد قادها ليبود دوق النمسا و اندريه الثالث ملك هنغاريا، بهما ملك قبرص حيث استعرضنا بداياتها كيف كانت مجرياتها ونتائجها التي انتهت الحرب بالصلح بين الطرفين المسلمين و الصليبيين، و ثانيا عرجنا فيه الحملة السادسة للأسباب و المجريات و النتائج التي عقدت فيها هدنة لهذه عشر سنوات. أما الفصل الأول: وكان عنوانه أوضاع العالمين الإسلامي و المسيحي قبيل الحملة الصليبية السابعة، قسمناه الى مبحثين المبحث الأول تطرقنا فيه الى وصف أحوال المسلمين آنذاك وما أصابهم من تغيرات خصوصا ما بعد صلاح الدين و كذا الصراعات التي كانت بين المسلمين و بتحديد بعد صلح يافا وكذلك لم ننسى التطورات و الازدهار في الحياة الثقافية المدارس و العلوم الدينية وحركة التأليف، بالإضافة الى الاوضاع السياسية و الاجتماعية و العسكرية بصفة عامة، في حين المبحث الثاني خصصناه للحديث عن أوضاع العالم المسيحي التي كانت أحوالها لا تحسد عليها لما شهدته من تنافس بين الامبراطورية المقدسة و البابوية و

الصراع بين السلطة الكنسية والسلطة الزمنية و زيادة الى رفضهم للصلح الذي جرى بين امبراطورهم فردريك الثاني و الملك الكامل.

كما حللنا شخصيتهما، وختمنا المبحث بنتائج توصلنا اليها من خلال عرضنا. أما الفصل الثاني فسميناه: الحملة الصليبية السابعة وقسمناه الى اربعة مباحث الاول كان بعنوان "اسباب الحملة" و التي كان من أهمها ضياع بين المقدس من الفرنج، أما المبحث الثاني فعنوانه "الاعداد للحملة و رحيلها الى مصر" حيث مكثت في جزيرة قبرص حوالي ثمانية أشهر ثم رحلت الى دمياط، والمبحث الثالث فاستعرضنا فيه احتلال دمياط، أما المبحث الرابع فاشتمل على معركة المنصورة و تورنشا يقود المعركة و في الفصل الرابع والأخير كان عنوانه : نهاية الحملة الصليبية السابعة، و جزأناه أيضا الى اربعة مباحث، المبحث الأول: أسباب الهزيمة التي تطورت فيها الجيش الأيوبي عسكريا و توحدت الصفوف الاسلامية و جهل الفرنجة بجغرافية البلاد الاسلامية (مصر)، أما المبحث الثاني: فكان عنوانه: نتائج الحملة الصليبية السابعة بحيث عجزت فرنسا عن تحقيق هدفها و تطرقنا الى أهم النتائج مثل تضرر الاقتصاد الأوربي وهذا بسبب كلفة الحملة و الحزن العظيم في فرنسا و أوربا لما حققت الحملة من هزيمة.

وكذا استعرضنا أشعار في هزيمة الحملة الصليبية السابعة لبعض الشعراء وهذا في المبحث الثالث.

## 5/- صعوبات البحث:

تعتبر المادة العلمية في هذا البحث متوفرة و بشكل كبير و بالخصوص المراجع مما سهل لنا إنجاز هذا العمل، غير أن هناك بعض الصعوبات نذكر منها: عدم وجود مصادر و مراجع تتحدث عن أوضاع العالم الاسلامي و العالم المسيحي قبيل الحملة السابعة، بالإضافة الى تداخل الأفكار و خصوصا المصادر منها في التحدث عن هذه الحملة، كما أنه في أحد فصول البحث لم نجد معلومات بالشكل الذي كان عليه الفصل السابق، وهذا مما ادى بنا غلى اهمال التناسق في عدد الصفحات في بعض الاحيان.

ورحم الله عماد الأصفهاني حيث يقول: " ان رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه الا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل " وهذه أعظم العبر و هو دليل على استلاء النقص على جملة البشر.

## 6/- نقد المصادر و المراجع:

اعتمدنا في بحثنا هذا مجموعة وفيرة من المصادر و المراجع المتنوعة وهي مثبتة في نهاية المذكرة، و سنعرض أهمها في هذا المبحث الخاص، و هي كالتالي:

### أولاً: المصادر: و نفصل فيها كالتالي:

كان في مقدمتها كتاب الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية لمؤلفه ابو شامة المقدسي الذي وصف فيه المعارك التي كانت واقعة بين الافرنج و جيوش مدينة دمشق، بالإضافة الى كتاب النوادر السلطانية لابن شداد و هو كتاب كافي و وافي من حيث طريقة العرض بحيث سرد لنا حوادث خلال الغزو الافرنجي بدقة و ذكر جميع الوقائع إضافة الى تعريفه بالملوك و انجازاتهم بخصوص آل زبي و آل ايوب، كما أننا لم نعدم فائدة من كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ( أحمد بن علي المقريزي المولود سنة 1364 م في القاهرة و المتوفي فيها سنة 1442م) و الذي من خلاله تعرفنا على تاريخ مصر و الشام في عهد الايوبيين.

و كتاب المنتظم في تاريخ الملوك و الأمم لعبد الرحمان بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج في جزئه الثامن و الذي تحدث فيه عن أخذ الافرنج لبيت المقدس و قتلهم للمسلمين و كذا الخسائر المادية.

### ثانياً: المراجع:

يأتي في مقدمة المراجع التي افضنا في استعمالها أطلس الحملات الصليبية على المشرق الاسلامي في العصور الوسطى لمؤلفه سامي بن عبد الله ابن أحمد المغلوث حيث تحدث فيه عن جميع الحملات الصليبية استهله بدوافعها الى غاية نتائجها و قد تطرق الى كل الحروب من الأولى الى الثامنة شارحاً لنا ايها و بالتفصيل مع تدعيمها بخرائط تاريخية و جغرافية بالإضافة الى منمنمات و مرسمات و كذلك صور، و هناك كتاب آخر و هو الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية لمؤلفه الأستاذ الدكتور سهيل زكار و الذي سرد لنا كل حملة بالتدقيق و توسع في التطرق الى كل الحملات الا أنه و حسب رأينا ما يعاب عليه أنه لم يعطينا عناوين مستقلة بل كان يسرد في الاحداث فقط، كما أننا استفدنا من كتاب الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر و الشام من تأليف الدكتور أحمد احمد بدوي في طبعته الثانية أين امدنا بمعلمات عن الحركة الفكرية التي ازدهرت ازدهاراً واسعاً حيث تمثل ذلك واضحاً بكثرة عدد المدارس و العلماء و المشتغلين بالعلوم المختلفة والذي ساعد على ذلك عوامل عدة و التي منها حسب تطلعنا بروز عدة ملوك من بني ايوب ممن عرفوا باهتمامهم بالعلم و

العلماء و ايضا تشجيع حركة التأليف و مساهمتهم بها و كما لاحظنا فقد ظهرت لهم مؤلفات عديدة في مجال العلوم الدينية و غيرها.

كما لا ننسى الملوك الذين كان لهم الدور الكبير في هذا الازدهار و منهم: الملك الكامل ابن العادل، الملك المعظم عيسى ابن العادل، الملك المنصور ناصر الدين محمد بن تقي الدين عمر و الملك الناصر داود بن عيسى صاحب الكرك، اضافة لكتاب الحركة الصليبية بجزئية الأول و الثاني للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور و الذي من خلاله تعرفنا على الحملات الصليبية بتسلسل حيث استهله من بداية الحركة الصليبية الى اثارها بحيث ذكر آثرها الحضاري، الاجتماعي، السياسي، الاقتصادي و الديني و مثله كتاب ماهية الحروب الصليبية (الإيديولوجية، الدوافع، النتائج) و الذي من خلاله عرج للحملة الصليبية و بالأخص الحملة الصليبية السابعة تحدث عن أسبابها و كيف كانت مجرياتها و ابرز نتائجها، و لم نعدم فائدة من كتاب الايوبيون بعد صلاح الدين و الحملات الصليبية من الرابعة الى السابعة لمؤلفه الدكتور علي محمد الصلابي و الذي أفادنا في معرفة ما قيل من شعر في هزيمة الحملة الصليبية السابعة وخصوصا شعر ابن مطروح، و يعتبر هذا المرجع أهم و أكثر كتابا استندنا عليه و استفدنا منه في بحثنا هذا.

## الفصل الأول

أوضاع العالمين الإسلامي  
والمسيحي قبيل الحملة السابعة

المبحث الأول: أوضاع العالم الإسلامي

المبحث الثاني: أوضاع العالم المسيحي

المبحث الثالث: الحملة الصليبية الخامسة والسادسة

المبحث الاول: أوضاع العالم الاسلامي قبيل الحملة السابعة:

كانت الحملة ضد دمياط آخر محاولات البابوية لتوجيه حملة صليبية تحت قيادتها فقط و لحسابها منفردة.

ومن ناحية أخرى فإن الحملات الصليبية في القرن الثالث عشر ميلادي اتخذت طابعا مختلفا عن حملات القرن السابق. فالحملة الثانية كانت قد جاءت رد فعل لسقوط امارة الرهن سنة 547هـ / 1144م على يد (عماد الدين زنكي) كما أن الحملة الثانية كانت استجابة للكارثة التي حاقت بالصلبيين بعد معركة حطين و سقوط بيت المقدس سنة 590هـ / 1178م، على يد صلاح الدين الايوبي. أما حملات القرن الثالث عشر فكانت نتيجة الضعف الدائم الذي ألم بالمستوطنات الصليبية التي زرعت في المشرق، ولم تبرأ منه منذ عمليات صلاح الدين الايوبي على الرغم من أن فرنج الشرق لم يواجهوا أي خطر حقيقي طوال فترة الايوبي من بعد صلاح الدين.

و عللا الرغم من أن شواطئ فلسطين شهدت في هذا القرن ( الثالث عشر) موجات متلاحقة من الفرسان و المغامرين و شواذ الافاق و الباحثين عن الفرص تحت راية الصليب، و على الرغم من أن بعض هذه الموجات عاتية تضم فيالق من الفرسان و المحاربين الاشداء، و بعضها كان أقرب الى الرذاذ الخفيف، الا أن هذا المدد المتواصل لم يستطع أن يقدم شيئا للكيان الصليبي في المشرق و الطي كان يمضي الى نهايته المحتومة.

و لأن فشل حملة دمياط كانت في النهاية ضربة موجحة لهيبة البابوية، فقد أخذ البلاط البابوي يضغط بشدة من أجل شن حملة صليبية جديدة. و كان المرشح لقيادة تلك الحملة هو الامبراطور الالماني (فؤيدريك الثاني) وهذا الفريدريك الذي كان معروفا باسم أعجوبة الدنيا لم يكن صليبيا مثل غيره من ملوك اوربا الذين قادوا الحملات الصليبية السابقة.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - مصطفى وهبة، موجز تاريخ الحروب الصليبية، ط1، مكتبة الإيمان للنشر و التوزيع، المنصورة، 1418 هـ - 1997م، ص

ولقد بدأ العالم الاسلامي بالتجزؤ، منذ منتصف القرن الثالث الهجري ثم انتشرت في اسعاقه دول وامارات متعددة و متنازعة. و استمر هذا الامر في العالم الاسلامي في القرون التالية، ويهمننا أن نشير في هذه الدراسة الى استمرار تلك الاوضاع في النصف الثاني من القرن الخامس و السابع الهجري و النصف الثاني من القرن السابع الهجري، و قد كان العالم الاسلامي انذاك يسوده تمزق سياسي و اجتماعي و اقتصادي، كما مانت تحكمه قوى متناقضة فيما بينها، مختلفة سياسيا، عقائديا، و فكريا فكانت هناك الخلافة الفاطمية في مصر بسياستها و مذهبها وفكرها و قد كان ذلك التنازل يؤدي الى ضعف المسلمين وطمع أعدائهم فيهم، فاصبح العالم الاسلامي في مصر، الشام، الجزيرة مطمعا في الغزاة من الصليبيين، لتحقيق مكاسب سياسية، اقتصادية ودينية. وكانت بلاد الشام مسرحا لتلك الخلافات السياسية و المذهبية بين الخلافة العباسية و الفاطمية.

كان الامراء في الشام متفرقين وهم يغزون في عقر دارهم، و كان كل منهم ( يعتمد على جهوده الخاصة و بعضهم كان تابعا لبغداد، و الآخر للقاهرة و لم يتهم أحد منهم بمصي الاخر). وهكذا كان تفرق المسلمين و اشتغال رؤسائهم بالمنازعات الداخلية و قلة امانهم بجرمة الوطن الاسلامي و قدسية اراضيه، قد ادى كل ذلك الى ما لحق بالعالم الاسلامي من هزيمة امام الغزو الصليبي. وبهذا كانت مصيبة العالم الاسلامي المتمثلة في امرائه و مطامعهم الخاصة، دون أن تظهر من بينهم الشخصية القوية التي تستطيع جمعهم، و تسير بيهم الى هدف مشترك.

ان ضعف العالم الاسلامي كان سببا في خلق الدويلات الصليبية و استمرار بقائها، و لذا سعى المسلمون الى اعادة كيان السياسي الاسلامي الى سابق عهده، و احيائه في ظل دولة اسلامية قوية على أن يكون الحكم و فق الشريعة، لحق ببلاد المسلمين الكثير من الخراب و الدمار، من جراء

الاحتلال الصليبي، و تعطل الكثير من عالم الحياة في مختلف مجلاته، لذا بدأ العمل على اصلاح البلاد سياسيا و اقتصاديا و اجتماعيا و فكريا و حربيا و عمرانيا.<sup>1</sup>

كانت وحدة المسلمين تبعث الملح و الفرع في نفوس اعداء الاسلام. و قد كان الفرنج يعملون على اشاعة الفرقة و الانقسام في العالم الاسلامي و قد بصر الغرب بخطر و حدة المسلمين في مصر و الشام، ولم يقتصر توحيد بلاد المسلمين سياسيا و عسكريا فقد سعو الى توحيدها فكريا ايضا، ورأوا أن الوحدة فكرة ضرورية للوصول الى الهدف المنشود المتمثل في تحرير بلاد المسلمين، و بذلك يتعد المجتمع الاسلامي عن عوامل الاضطراب و تفكك المجالات المختلفة: الدينية، السياسية و الاجتماعية. وكان السلاطين الايوبيين قد صمموا على توحيد بلاد المسلمين في المجالات المختلفة، فشجعوا انشاء المدارس السنية و غيرها من المراكز الفكرية المختلفة.<sup>2</sup>

### i. الايضاح الثقافي:

#### 1- /المدارس:

شكلت مسألة التعليم جزءا اساسيا في السياسة العامة التي نهجها الايوبيين أثناء الصراع الدائر مع الفرنج وسعت الى تهيئة ابناء الامة و تعبئتهم تعبئة فكرية تأهلهم بمقاومة الغزو الفرنجي، فقد اجتهد صلاح الدين كثيرا في انشائه للمدارس في مصر و امتدت جهوده في إنشائها لاعتبارها من الوسائل الهامة لمحاربة الغزو الاجنبي لتشمل بلاد الشام، حيث قام بإنشاء المدرسة الاصلاحية. و التي يقول لها الناصرية ايضا في بيت المقدس بعد تحريرها من الفرنج عام 538هـ / 1187م. وما يدل

<sup>1</sup> - الجليل حسن عبد المهدي، بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية 492-648 هـ، مطبعة أروى، وزارة الثقافة، عمان

- الأردن، 2013م، ص 48-50.

<sup>2</sup> - عبد الجليل عبد المهدي، مرجع سابق، ص 57-58.

على أهمية هذه المدرسة كثرة الوقوف<sup>1</sup> و الجرايات عليها و على قوادها. كما دل على ذلك فئة العلماء الذين اوكل اليهم مهمة الاشراف عليها، و التدريس فيها ممن عرفوا بمساهماتهم المتعددة أثناء الغزو الفرنجي، كالقاضي بهاء الدين ابن شداد الذي فوض السلطان اليه امر التدريس فيها، و الفقيه مجد الدين ابن جهبل ( ت 596هـ الموافق ل 1199م) الذي كان أحد المبشرين بفتح بيت المقدس أثناء فتح حلب عام 578هـ الموافق ل 1182م و يؤكد اهمية الدور الفكري الذي كانت تمثله هذه المدرسة اهتمام خلفاء صلاح الدين الايوبي باختيار العلماء المميزين للتدريس فيها ممن اشتهروا بعلمهم فبرز منهم الفقيه الشافعي فخر الدين ابن عساكر الذي تناوب في التدريس بين بيت المقدس و دمشق. و الشيخ تقي الدين ابو عمرو المعروف بان صلاح ( ت 643هـ الموافق ل 1245م) الذي بقي مدرسا بها حتى قيام الملك المعظم عيسى بتخريب اسوار القدس مما اضطره لتركها كما تولاها من قبل الملك المعظم عيسى عام 622هـ الموافق ل 1225م والد المؤرخ الكبير جمال الدين ابن واصل.

و اولى السلطان عناية كبرى في حلب، مركزا على القيام بدورها في نشر الدين، دل على ذلك ريالته للإمام ابي بكر علاء الدين الكاساني مدرس المدارس الحنيفية بحلب<sup>2</sup>

## 2- العلوم الدينية:

تميز القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي بازدهار العلوم الدينية ازدهارا واضحا، و التي تركزت حول علوم القرآن الكريم و تفسيره و الحديث النبوي و الفقه، حت تمكنت هذه العلوم من أخذ حيز كبير من ثقافة ذلك العصر، تمثل في كثرة العلماء و تعدد مصنفاتهم وقد لقب علماء هذه

<sup>1</sup> - لؤي البواعنة، دور العلماء المسلمين في مقاومة الغزو الفرنجي (الصليبي) للمشرق الإسلامي (490-648 هـ /

1097-1250 م)، د. ط، دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع، عمان - الأردن، 2006م، ص 80.

<sup>2</sup> - لؤي البواعنة، مرجع سابق، ص 80.

الفترة بالقاب كثيرة تحمل دلالة العم، أورد بعضا منها ابن جبير، فقال سيد العلماء و جمال الائمة و حجة الاسلام، و فخر الشريعة و شرف الملة و مفتي الفريقين و الشيخ و الامام. تعددت أسباب الازدهار العلوم الدينية في هذه الفترة الحرجة من التاريخ الاسلامي بين عوامل عديدة، تراوحت بين فكرية مذهبية وسياسية و الصراع الفكري بين السنة و الشيعة، شكل أحد العوامل الرئيسية لذلك الازدهار كما كان لجهود الزنكيين و الايوبيين في تشجيع العلماء و بشكل خاص زمن نور الدين زنكي و صلاح الدين الايوبيو خلفائه من بعده و الأثر الاكبر في ذلك تكثف ذلك لدعمهم في مؤسسات المالية التي أنشأت لنشر هذه العلوم كالمدارس و الربط و الزوايا.<sup>1</sup> كان للأحداث السياسية التي شهدها القرن المذكور و المتمثلة في المواجهة العسكرية بين المسلمين و الفرنج في مصر و الشام دور كبير في بروز هذه العلوم الدينية اذ اقتضت الضرورة للحفاظ على الهوية الاسلامية ازاء هذه العدوان الفرنجي و الذي استمر طوال القرن السادس و الثلث الاخير من القرن السابع الهجري/ القرن الثاني عشر الميلادي فأنشأت المدارس لتدريس هذه العلوم ونشرها.

لقيت علوم القرآن الكرين من قراءة و تجويد و تفسير و حفظ اهتماما كبيرا خلال فترة الغزو الفرنجي للمشرق الاسلامي، و ذلك بالأهمية الكبيرة التي ترتبط بالقرآن لأنه المرجع الاساسي في استنباط احكام الشريعة و تطبيقاتها ولهذا تصدر عدد كبير من العلماء لتدريس هذا العلم.

### 3/- حركة التأليف:

نشطت حركة التأليف نشاطا واسعا خلال عصر الحروب الفرنجية ( الصليبية) و ساهم علماء كثر في هذه الحركة من شتى انحاء العالم خاصة في بلاد الشام و مصر و بلاد فارس، و تتركز هذه الدراسة على العلماء المعاصرين للغزو الفرنج الذين عاجلوا في مؤلفاتهم احداثه التي غلب عليها الطابع السياسي و العسكري و الاجتماعي و الاداري و الثقافي و الاقتصادي. تعددت دوافع الكتابة و التأليف لدى علماء المسلمين خلال فترة الدراسة، فقد كانت الدروس السياسية التي عايشها

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 87.

المسلمون آنذاك لها دور كبير في ظهور بعضها، و هناك دوافع اخرى يمكن ارجاعها لأهداف محددة و خاصة تلك التي قصد بها الحث على الجهاد و الدعاية له، و منها ما كان سيرة شخصية لقائد مجاهد كصلاح الدين الايوبي تخليدا لبطولاته و اظهرها لمسماته في مقاومة الفرنج، و أخرى للأسرة حاکمة لإظهار فضائلها و دورها في حقبة ما كالدولة الاتابكية في الموصل، و منها ما كان تاريخا عاما، تناول احداث الغزو لمعاصرة صاحبه جزءا منها و نقله عن معاصريه في بعضها الآخر فالكامل في التاريخ (630هـ - 1232م) و مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي 654هـ - 1256م<sup>1</sup> و المحدث المصري عبد العظيم المنذري 656هـ - 1258م في اخباره المبعثرة في عدد من المصادر التاريخية الذين كان لهم دور كبير في رصد احداث الغزو الفرنجي الصيبي في فترة خلفاء صلاح الدين، فقد استقام المقرئزي معظم احداث الحملة الصليبية<sup>2</sup> السابقة من مؤلفات المنذر بالإضافة لمؤلفه التكلة لوفيات النقلة، حيث ترجم فيها لعدد من الشخصيات التي كان لها مساهمتها الواضحة أثناء غزو و لمعاصرته بعض احداثها وكذلك لنا ابن تغري بردي اذ نقل بعض اخبار الايوبيين عن المنذر، اما سبط ابن الجوزي فتأتي أهميته عن معاصرته و مساهمته في كتي من أحداث الغزو خاصة زمن الملك الكامل و المعظم عيسى و الناصر داود.

امتاز العصر الايوبي بازدهار الحركة الفكرية ازدهارا واسعا، تمثل ذلك واضحا بكثرة عدد المدارس و العلماء و المشتغلين بالعلوم المختلفة، و ساعد على ذلك عوامل عدة منها بروز عدد من ملوك بني ايوب ممن عرفوا باهتمامهم بالعلم و العلماء و تشجيع حركة التأليف و مساهمتهم بها، و ظهرت لهم مؤلفات عديدة في مجال العلوم الدينية و غيرها نذكر على سبيل المثال:

أ/ - الملك الكامل ابن العدل: الذي كان محبا لأهل العلم و مجالسهم كما كان عنده شغف بسماع الحديث النبوي، حتى اجيز له بالحديث من عدد من الأئمة، و كان يناضل العلماء في مسائل

<sup>1</sup> - لؤي البواعمة، مرجع سابق، ص 356.

2 - لؤي البواعنة، مرجع سابق، ص 357.

غربية من فقه و نحو، و يمتحن بها، فمن أجابه حضي باهتمامه و قيد قيل عنه أن لشدة حبه للعلماء كان يبیت عددا منهم عنده في القلعة وقد شهد ابن تغزي بردي بعلمه وشهامته، و ذكر أن له شعرا حسنا و اشتغالا في العلم، و اشار ابو المظفر سبط ابن الجوزي انه كان يتكلم بصحيح مسلم بكلام مليح.<sup>1</sup>

**ب/- الملك المعظم عيسى ابن العدل:** الذي وصفه ابن واصل بانه عالم فاضل متفنن بالفقه و النحو تتلمذ على شيخه تاج الدين ابي اليمن الكندي و بمشيخة الفقه الامام جمال الدين الحصري، و قد كان كثير التردد اليهما، و انفرد دون ملوك بني ايوب في اعتناقه المذهب الحنفي و تعصبه له، و قد وقف المعظم على كتاب تاريخ بغداد لخطيب البغدادي الذي احتوى مطاعم على الامام ابي حنيفة و التي رواها الخطيب البغدادي عن جماعة من المحدثين ورد عليه بكتاب اسماء: السهم المصيب في الرد على الخطيب. و تناول فيه قضايا كثيرة في الفقه و النحو، كما ذكر ابن واصل لأنه عندما قدم القدس الشريف عام 623هـ / 1226م جلس خارج الصخرة واستدعى الفقهاء و بدأ بالبحث معهم في مسائل لغوية و فقهية، حتى وصفه ابن تغزي بأنه "أرجل بني ايوب وعالمهم بلا مدافعة"

**ج/- الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن تقي الدين عمر:** (ابن اخ السلطان صلاح الدين) صاحب حماة (ت 617هـ / 1220م) كان عاملا فاضلا يحب العلماء و الفضلاء و أهل الادب و الشعر، و يريد اليه جماعة من العلماء منهم الشيخ الامام سيف الدين الاميدي حتى قيل أنه صار في خدمته مئتان من الحمامة و الفقهاء، و أهل اللغة و المشتغلين بالعلوم الحكيمة و المهندسين و المنجمين و الشعراء و الكتاب، كما جمع في خزائنه عددا كبير من كتب العلوم<sup>2</sup>، و من أشهر مصنفاته كتاب طبقات الشعراء، و مضممار الحقائق و هو كتاب في التاريخ يقع في عشرين مجلد<sup>3</sup> عد

1- المرجع نفسه، ص 357.

2 - بدوي، مرجع سابق، ص 37.

3 - لؤي البواعمة، مرجع سابق، ص 358.

كتاب مضمون الحقائق و سر الخلائق من أهم المؤلفات التي عاجلة فترة الحروب الصليبية، لما تضمنه من تفاصيل عن عصر السلطان صلاح الدين ولانتصاراته في عدة مجلدات توفر منه جزء واحد محقق يعالج الفترة 575-582 هـ / 1179م-1186م. وقسم الكتاب الى ثلاثة أقسام خصص القسم الأول منه لدار الخلافة في بغداد و القسم الثاني لفتوحات السلطان صلاح الدين و أعماله بمصر و الشام و الجزيرة و القسم الثالث للبحث في حملة قراقوش التقوي على بلاد المغرب.

د/- الملك الناصر داود بن عيسى صاحب الكرك: (ت656هـ / 1258م) الذي وصف بأنه عامل فاضل و مناظر ذكي، شهد المؤرخ الصفدي بأنه سمع الحديث ببغداد و الكرك حتى اجيز له<sup>1</sup>.

## ii. الايوضاع السياسية:

اشتد في اوائل القرن الثالث عشر ميلادي التنافس بين البابوية و الامبراطورية المقدسة فبينما كان الصراع على أشده بين الاسبانيين و المسلمين في الاندلس و المغرب و بين الصليبيين و المسلمين في الشرق الادنى، كان ثمة صراع آخر يدور في غرب اوروبا بين السلطة الكنسية و الزمنية و للفصل في الامر قال ما اثار النزاع و الجدل.

و كان بطل هذا الدور الجديد من ادوار ذلك الصراع الامبراطور فريدريك الثاني ( الامبرور ) و تعد حياة فريدريك الثاني من أهم النطاق المثيرة للجدل في تاريخ اوروبا باسرها، فقد عاش عندما افترق الطرق التي تفصل الشرق عن الغرب، و شملت امبراطورية المانيا بكل مقاطعاتها فضلا عن ايطاليا و صقلية و هو ينحدر من عائلة هانشتا و فين من أب الماني هو هنري السادس ملك المانيا، و اما نصف ايطاليا، و نشأ وترى في صقلية على مقربة من المؤثرات الاسلامية و البيزنطية، فنشأ

<sup>1</sup> - لؤي البوعامة، المرجع نفسه، ص 359.

فيلسوفاً محباً للجدل و الرياضيات، و اجاد ستة لغات من بينها اللغة العربية و نظم الشعر، و اغدق من ماله و عنايته لتشجيع العمارة و النحت و التعليم، و هو الى جانب ذلك جندي بارع و سياسي لبق الى اقصى درجات اللباقة، مع الجرأة التي لا تخشى شيئاً و النزعة الفكرية الجانحة الى ميادين الفلسفة و الفلك و الهندسة و الجبر و الطب و التاريخ، و الف فريديريك في البيزرا<sup>1</sup>، علم تربية الطيور الجوارح و تدريبها على الصيد و القنص، كتاباً يعتبر اصلاً من أصول العلوم التجريبية في غرب اوربا و اصطحب في اسفاره مجموعة من الفيلة و الهجائن و عجائب المناطق الاستوائية الحارة من انواع الحيوانات. ولم تكن تقاليد المسيحية التي التزمها الناس في ذلك العصر مما يابيه له فريديريك الثاني و في الوقت الذي كان البابا في الغرب الاوربي المكانة الرفيعة السامية باعتباره خليفة القديس بطرس، نجد فريديريك ينعته بالدجال و قد عرف عن فريديريك الثاني حبه للمسلمين الذي نشأ بينهم في صقلية، و قد دفع ذلك بعض الكتاب الى اتهام فريديريك الثاني بمحاربة الاسلام على حساب المسيحية، في حين ذهب البعض الاخر مثل فولتير و مونتيسكيو الى القول بأن كرهية فريديريك الثاني للبابوية و الكنيسة الغربية هي التي دفعته الى حب الاسلام و المسلمين و على الرغم من أن فريديريك الثاني قد بدأ حياته السياسية بتحالفه مع البابوية وهو التحالف الذي افاده الى حد كبير ضد خصومه و منافسيه في المانيا، الا أن الأمور لم تلبث أن تعقدت بين الطرفين، بعد أن تأكدت البابوية أن فريديريك غير قانع بصقلية و جنوب ايطاليا، وانما اذ يعمل على توطيد نفوذه بشمال ايطاليا، اي في إقليم لمبارديا و أنه اتخذ ايطاليا و صقلية مسرحاً سياسياً بجهوده و التمكين لنفسه.

حقيقة أن فريديريك قد حرص آنذاك على احترام مركز البابوية في ايطاليا و لكن سيطرته على جنوب ايطاليا و شمالها كان نذيراً بوقوع الاملاك البابوية في وسط ايطاليا بين فكي الكماشة، مما جعل البابا يرتاب في سياسة فريديريك و ينظر اليها بعين ملئها الشك و الخوف و في سنة 1215م

<sup>1</sup> - علي محمد الصلابي، الأيوبيون بعد صلاح الدين (الحمالات الصليبية من الرابعة إلى السابعة)، ط1، دار الجوزي، القاهرة، 2008، ص 240.

اقسم فريديريك للبابا انوسنت الثالث أن يقوم بحملة صليبية ضد المسلمين ولما كان فريديريك الثاني يميل للمسلمين و يعطيهم حقهم من الاحترام و التقدير لذلك لم يجد الدافع الذي يدفعه للخروج من بلاده على رأس حملة صليبية ضدهم<sup>1</sup>

### 1/- وفاة الملك المعظم:

استغل الامبراطور وفاة الملك المعظم سنة (624هـ / 1226م) فقام ينة (625هـ / 1227م) بالاستيلاء على صيد التي كانت مناصفة بين المسلمين و الافرنج، و كان لهذه الوفاة أثر كبير في تغيير مجريات الاحداث، فنحن نعرف أن الملك الكامل كان قد استدعى الامبراطور عندما كان خائفا من اخيه الملك المعظم، أما الآن و قد توفي الملك المعظم قد زال الخطر الذي يشكله اكبر منافس له، فانتهدت الحاجة الى مثل هذا القرار<sup>2</sup>.

### 2/- المفاوضات بين الملك الكامل و الامبراطور فريديريك الثاني:

عندما وصل الامبراطور فريديريك الى عكا بعث رسوله الى الملك الكامل و أمره أن يقول له: الملك يقول لك كان الجيد و المصلحة للمسلمين أن ييدلوا كل شيء... و لا أجيء اليهم و الآن فقد كنتم بذلتكم لنائي- في زمن حصار دمياط- الساحل كله، و اطلاق الحقوق بالإسكندرية و ما فعالناه وقد فعل الله لكم ما فعل من ظفركم، و اعادتها اليكم و ما نأبي؟ إن هو الا أقل غلماني فلا أقل من إعطاء ما كنتم بذلتموه له، و حار الملك الكامل في الموقف، الذي يجب أن يتخذه من الامبراطور، لأنه هو الذي دعاه الى الشارع و ألح عليه في الجيء اليه ليناصره عن أخيه المعظم، و اعدا اياه بقسم من املاك هذا الخصم، فلما وصل اليها لم يعد في حاجة الى مساعدته، لأن المعظم كان

1- علي محمد الصلابي، مرجع سابق،، ص 240.

2- المرجع نفسه، ص 243.

قد توفي، و غدت الاملاك الموعودة جزاء من لكته و أصبح من واجبه أن يدافع عنها، إن لم يكن بعامل الرغبة بالمدافعة عليها فبعامل الحفاظ على سمعته أمام جماهير المسلمين. يصف ابي واصل الموقف فيقول: تحير الملك الكامل، ولم يمكنه دفعه و لا محاربتة كما تقدم بينهما من الاتفاق فراسله و لاطفه، فيبدوا أن الكامل أحس بانه ليس من مصلحته ولا من مصلحة البيت الايوبي أن يصطدم بالصلبيين بالشام في تلك المرحلة التي تعرض فيها لتهديد الخوارزمية و من ورائهم المغول، فاراد أن يطل أمد المفاوضات بينه وبين الملك فريدريك و المعروف أن الهدنة التي تمت عقب جلاء الصليبيين عن مصر لينتهي أجلها إلا في نهاية ( 626هـ / 1229م) و ادرك الامبراطور أن موقف الملك الكامل أصبح على غير ما كان ينتظر، و لكن ما العمل، وهو الذي خرج من بلاده محروما من الكنيسة، مغضوبا عليه من البابوية، معتمدا على وعد الكامل له بإعطائه بيت المقدس لاستعادة نفوذه في اوربا ولو كان الامبراطور يعلم بأن الكامل سينكت بوعده لما خرج الى الشرق اصلا أو لكان استقدم معه جيشا قادرا على الغزو و الحرب ضد الصليبيين أما الآن فان عدد جنوده لا يزيد خمسمائة فارس و هو لا يعتمد على أية مناصرة من القوى الصليبية في الشام، لأن هذه القوة تأبى القتال، تحت لواء المحروم من الكنيسة مطرود من رحمتها، أما اذا عاد الى اوربا بدون أن يحقق أي انتصار فإنه سيعطي خصومه و بالأخص البابوية سلاحا قويا للسخرية منه و التشهير به، فالمسائلة بالنسبة اليه اذا كانت تعني مستقبل عرشه في الغرب الاوربي، و مصير المعركة بينه و بين البابوية، و هو لم يتردد في التصريح لأصدقائه من المسلمين في الشرق لأنه ليس له غرض في القدس و لا غيره و إنما قصده حفظ ناموسه عند الفرنج.

و زاد من حرج موقف الامبراطور فريدريك أن البابا غريغوري التاسع أخذ يرسل الكتب سرا الى ملوك بني أيوب يرجع عام و السلطان الكامل بوجه خاص، محرضا اياهم على عدم تسليم بيت المقدس للإمبراطور، و لا عجب في ذلك الموقف الذي اتخذته البابوية اذ كانت المعركة بينهما وبين الامبراطورية في الغرب أهم من نظرتها من المعركة عندئذ تعني بالنسبة للملك الكامل و وقوعه بين

ثلاثة أعداء هم: ابن أخيه الملك الناصر داود من ناحية، و الخوارزمية التي استنجد بها الناصر داود من ناحية ثانية، و الصليبيون من ناحية ثالثة، و في ضوء هذه الحقائق كلها و تحت تأثير رسول الملك الكامل في مفاوضات الأمير فخر الدين يوسف بن الشيخ، تنازل عن بيت المقدس.<sup>1</sup>

### 3- صلح يافا:

اخيرا عقد الملك الكامل في (ربيع الأول 627هـ / شباط 1229م) اتفاقية مع الامبراطور فريدريك الثاني عرفت بصلح يافا، و حضر مراسيم توقيع الاتفاقى من الجانب الايوبي فخر الدين و أخوه كمال الدين ولدي شيخ الشيوخ و شريف شمس الدين الأرموي (ت 630هـ / 1232م) قاضي السكر، و الصلاح الاربلي و الامير صفى الدين بن سودان، و من الجانب الافرنجي هرمان سلزا رئيس الطائفة الالمانية، و توماس فون اكون، و الجراف فون اكبر، كتبت صيغة الاتفاقية باللغتين العربية و الفرنسية، و وقع عليها الطرفان و حلف على التزامها و وقع الامبراطور عليها بعد أسبوع، فيما وقع على بنودها الملك الكامل في الوقت نفسه وتم تسليم بيت المقدس للصليبيين في شهر ربيع الاول (626هـ / شباط 1229م) و شمل الاتفاق البنود التالية:

أ- مدة الاتفاق عشر سنوات ميلادية.

ب- تبقى المناطق التي أخذها الصليبيون قبل الصلح بأيديهم و تشمل: قلاع الشقيف و تبنيين، و جبلة، و كوكب، و بيرت، و صيدا، و يافا، و المجدل و اللد، و الرملة، و عسقلان، و بيت جبريل.<sup>2</sup>

ج- تبقى بيت المقدس خربة، ولا يجدد سوارها، و تكون قراها للصليبيين و تكون تابعة للوالي بالبيرة الواقعة شمال قدس.

<sup>1</sup> - علي محمد الصلابي، مرجع سابق، ص ص 243 - 245.

<sup>2</sup> - سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ط 1، شركة العبيكات للأبحاث و التطوير، الرياض، 1430 هـ / 2009م، ص 162.

- د- يبقى المسجد الاقصى و الصخرة بيد المسلمين و يمارسون فيها الشعائر الدينية من آذان وصلاة، و يتولاها قوام المسلم، و لا يدخلها الصليبيون الا للزيارة.
- هـ - يأخذ الصليبيون بيت المقدس، و الناصرة، وبيت الحرام.
- و- يعطي الصليبيون بعض القوى الواقعة على الطريق من عكا الى القدس، حتى لا يتعرض الصليبيون القادمون من عكا لزيارة القدس للعدوان، و تبقى سائر المدن و القرى بين المسلمين.
- ي- اطلاق سراح الصليبيين و من ضمنهم الأطفال الذين أسروا في حملة الاطفال السابقة.
- ر- تعهد الامبراطور المشاركة في الدفاع عن الملك الكامل ضد أي عدو حتى لو كان من الافرنج، كذلك تعهد أيضا عدم تقديم أي مساعدة لحكام أنطاكيا و طرابلس، و حكام المنطقة الافرنجية الاخرى في بلاد الشام.<sup>1</sup>

### المبحث الثاني: أوضاع العالم المسيحي قبيل الحملة السابعة:

#### I. الأوضاع السياسية:

#### 1/- رفض الصليبيين للصلح:

لم يوجب الصليبيين استرداد فريديريك الثاني بيت المقدس، و أخذوا يعبرون عن غضبهم بشتى الصور فقالوا و غن كرمة المسيح كانت تحتم أن اتخذ المدينة المقدسة بحد السيف، و ليس بطريق

<sup>1</sup> - المرجع نفسه ص 163.

استجداء، و البكاء كما فعل الإمبراطور و على الرغم من أن الذي حققه فريدريك الثاني باتفاقه مع الملك الكامل كان ناجح مما حققته الحروب الصليبية كلها بعد معركة حطين (583هـ / 1187م)، فإن أعداء الامبراطور لم يتركوا فرصة للعمل ضده إلا استغلوها، فقد أرسل الفرسان المعبر سرا برسالة يبدو أنها كانت بإحياء من البابا غريغوري التاسع: يخبرون ما فيها بأن - أي الفرسان - قد عملوا أن الامبراطور سيخرج بصحبة نفر من أتباعه من بيت المقدس الى نهر الاردن للصلاة و هم يدعون السلطان الكامل لانتهاز هذه الفرصة للفتك بالإمبراطور... اشتهر الكامل بخيانة هؤلاء الفرسان، فارسل الى الامبراطور نفسه هذا الخطاب المختوم بختم رئيس فرسان المعبد وبقي الامبراطور يومين في القدس، ثم عاد الى يافا خوفا من الداوية و غادر فريدريك أرض فلسطين بعد ابرام الاتفاقية مع السلطان الكامل، فقد وصلته الاخبار أن جنود البابا قد هاجموا مملكته في جنوب ايطاليا تمكن فريدريك بعد وصوله الى ايطاليا من التصدي لقوات الباب و هزيمتها عام (627هـ / 12230م) و اجبر البابا على عقد معاهدة سان جرمان، حيث القى حرمانه و مراعاة نصوص اتفاقية فريدريك مع المسلمين، و لكن الهدنة لم تمنع البابا من توجيه نقد كبير لاتفاقية فريدريك مع المسلمين فتهمه البابا غريغوري بأنه وحده يعرف شروط المعاهدة.

لقد اثار المعاهدة مع السلطان الكامل و التي تسلم بموجبها الامبراطور فريدريك مدينة القدس الباب و أقامته و لم تقعه، و شنع على فريدريك وقال واصفا معاهدته مع الكامل انها تتوافق مع تريخ المسلمين أكثر من توافها مع شريعة اماننا، اتبع عاداته في عدة نقاط منها: مساعدة السلطان ضد جميع الناس من المسلمين و المسيحيين، و في رسالة ارسلها البابا لمدوبه في فرسنا يقول اخذ فريدريك بوسائل المسلمين، و هاجم مرث الكرسي الرسولي، و الذي هو أكثر مقاتا، انه يرم الن معاهدة مع السلطان و مع المسلمين الآخرين، و ظهر اللطف معه، و بيدي الكراهية المكشوفة ضد المسيحيين، ثم يذكر أن فريدريك يشجع المسلمين<sup>1</sup> على الاغراء على طائفتي الاسبتارية و الداوية.

<sup>1</sup> - علي محمد الصلابي، مرجع سابق، ص 253.

من خلال هذا العرض توصلنا الى النتائج التالية:

أ- من الجلي البين، أن الكامل الايوي لم تتوفر لديه الحنكة السياسية التي تجعله ندا للسياسي الالماني فريدريك الثاني، لقد تغير الوضع السياسي بالنسبة للكامل عقب وفاة المعظم عيسى، و لم يكن هناك مبرر في تنفيذ ذلك الوعد المتسرع و المتهور الذي قطعه على نفسه لتقديم القدس للإمبراطور الالماني طالما لم يساعده في مواجهة خصومه من البيت الايوي اساسا، و قد اشار الى تلك الحقيقة الدكتور سعيد عاشور في معرض تناوله لذلك الاتفاق، و دليل على عدم حنكة الكامل و الايوي أن ابسط قواعد اللعبة السياسية في اية مفاوضات الا يقوم طرف من الاطراف باللعب بكافة اوراق مباشرة دفعة واحدة، بل يحتفظ بها و يعامل بصورة جزئية و وفق مقتضيات الحال، و من الواضح أن الكامل لعب بكافة الاوراق دفعة واحدة بصورة غير مسبقة، أما الامبراطور فريدريك الثاني فكان على درجة عالية من الذكاء، و قد عبر أحد المؤرخين تعبيراً سابقاً على الموقف قائلاً إن الامبراطور فريدريك كان داهية الى الحد الذي يستطيع به أن يحقق الكثر بالأسلوب الدبلوماسي من خلال صداقاته.

ب- عندما ننظر الى عصر صلاح الدين الايوي، و لم يكن مر على اتفاقية صلح الرملة (588هـ/ 1192م)، و اتفاقية يافا (627هـ/ 1229م) سوى سبع و ثلاثين سنة، نجد أن صلاح الدين الايوي يحارب الصليبيين بشراسة و لا يفرط بالقدس ابداً، و تعليل ذلك واضح و هي أن لها مانتها الدينية، كما أنها رمز لقضية الجهاد اصف الى ذلك أنه رأى ليس من حقه كقائد لحركة الجهاد حين ذاك أن يقدم القدس للصليبيين و يلاحظ أن وضعه القتالي كان اصعب بمراحل اذا ما قارناه مع الكامل الايوي، و يكفي أنه على مدى الاعوام (583هـ/ 1187م) - (588هـ/ 1192م) لم يتوقف عن الصراع مع الصليبيين، و من أمثلته معركة عكا المبررة على مدى عامين كاملين، و رفض تماماً أن يحصل الصليبيون على<sup>1</sup> القدس و دل على ذلك الحنكة السياسية الحقيقية و البطولة السابقة،

<sup>1</sup> - علي محمد الصلابي، مرجع سبق ذكره، ص 259.

و هكذا فإن الجيل الذي استشهد رجاله من أجل عودة المدينة المقدسة للمسلمين، لم يفكر للحظة بالتفريط فيها، أم الجيل الذي وجد نفسه أمام المدينة المذكورة دون مشقة لقم تكن تعنيه بقليل أو كثير، و كان من السهل عليه أن يقدمها للصليبيين دون عناء.

ج- توافرت لدى الكامل الايوي النية لتقديم القدس على طبق من ذهب للصليبيين مقدم من فريدريك الثاني، و لا أدل على ذلك مما حدث خلال الصليبية الخامسة، و قد كرر عرضه على الصليبيين عدة مرات على نحو عكس عدم حنكته السياسية و أنه لم يكن لديه القدرة على التعامل مع الصليبيين سياسيا، و كل مديح توافر لدى المصادر التاريخية العربية لذلك السلطان الايوي ربما يكون صادقا على صعيد السياسة الداخلية و ما أحدثه من مشروعات حضارية و استتباب الأمن الا أن السياسة الخارجية و التعامل مع الصليبيين جعلته لا يحضى بتقدير المؤرخ المنصف.<sup>1</sup>

د- قد يتم الاحتجاج بأن فتوى دينية قدمها أحد الفقهاء و هو القاضي ابن ابي الدم الحموي (ت 1244م- 642هـ) عكست ظان هناك من أيد تلك الاتفاقية من خلال أحكام الإمام الشافعي التي وردت في كتابه الشهير (الأم) غير أنه مع تقدير الوافر لأصحاب ذلك التوجه الا أن من المهم ملاحظة أن فقهاء السلطان في بعض الاحيان كانوا نكبتا على المسلمين عندما برروا لقادتهم تصرفاتهم و لم يعارضون، و الاحتجاج هنا بأن ابي الدم و ما اورده في مخطوطة المظفري مردود على اعتبار أنه الف تاريخه في عهد السلطان الكامل، و منطقي أنه تحول ليكون بوقا دعائيا لذلك السلطان، كما أنه عاش في كنف ابن اخت ذلك السلطان و زوج ابنته وهو الملك المظفر صاحب حماة، و يعبر أحد المؤرخين عن ذلك الموقف قائلا: يجدر بنا التحذير بعدم أخذ رواياته عن بني أيوب على علاقتها حتى لا تضلل الدارس، و ينبغي أن لا نغفل الرأي الآخر، الذي وجد حتى في عصر الكامل غير أنه قمع في قسوة، و مثال ذلك أن أحد قادة جيشه يدعى سيف الدين ابن ابي زكري

<sup>1</sup> - عوض محمد مؤنس، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق و الغرب في القرنين 12-13 م / 6-7 هـ، ط1، عين

للدراستات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، مصر، 1999 / 2000م، ص 295.

حيث حذره من التفريط ببيت المقدس و حقوق المسلمين و طالب بمحاربة صديقه الالماني و من ذلك قوله ابعده دمشق على ابن اخيك الملك الناصر و اطلبه و اطلب اخاك الملك الأشرف و عسكر حلب و نقاتل هذا العدو، فيما لنا و اما علينا، و لا يقال عن السلطان أنه أعطى الفرنج القدس.<sup>1</sup> و على الرغم من تلك النصيحة الصادقة التي حفظها التاريخ لابن أبي زكري الا أن الكامل اعتقله و ارسله الى مصر حيث سجن هناك.<sup>2</sup>

و من المهم أن نذكر هنا أن ذلك القائد العسكري الذي عارض سلطانه اقترح عليه الحل العسكري، و هي فكرة تدل على أن ذلك ممكنا لأنه -و بالبداية- لو لم يكن ممكنا لما عرضه ذلك القائد الذي تصور أن له خبرة قتالية يعتد بها، بدليل وصوله الى أن يكون أحد القادة العسكريين الكامل و تصوره كان منطقيا من خلال قلة قوات فريدريك الثاني، غير أن السلطان الذي عشق التفريط، و استمتع بالتنازلات، رأى رايته التي عارضتها الجماهير الحاشدة و من المنطقي تصور أن كافة الجماهير الغفيرة التي عارضته كان يحركها الناصر داود عدو الكامل الايوبي، حقيقة أنه شيء ضد قراره ما يوصف بجملة اعلامية عنيفة، غير أنه كان محقا تماما في ذلك، لأن اتفاق يافا كان يحتوي على التنازل عن تلك المدينة المقدسة، و مساحات شاسعة أخرى تعطى للغزاة، و لم يكن من الممكن الوقوف دون أن يحرك ساكنا على ما أقدم عليه الكامل الايوبي.<sup>3</sup>

هـ- من زاوية أخرى، اعارض الخلطة بين التسامح و التفريط، فمن حق الكامل الايوبي أن يتسامح مع الصليبيين بأن يسمح لهم بالحج الى المحارم المسيحية المقدسة في أمن و امان كاملين، أما أن يقدم لهم القدس على اعتبار أنها بلا اسوار، و أنه متى اراد استرجاعها تمكن من ذلك فهو أمر لا

<sup>1</sup> - الغامدي، بلاد الشام قبيل الغزو المغولي 589 - 657 هـ / 1193 - 1259 م، د. ط، د. د. ن، مكة المكرمة، 1988 م، ص 268-269

<sup>2</sup> - عز الدين أبو عبد الله ابن شداد، الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة، ج2، د. ط، تح: سامي الدهان، د. د. ن، دمشق، 1956 م، ص 224.

<sup>3</sup> - علي محمد الصلابي، مرجع سابق، ص 261.

يدخل ضمن باب التسامح بل التفريط، و امتهان كرامة الامة و مقدساتها و التسامح في غير موضع يظهر التهاون الذي لا مبرر له و يلاحظ هنا ان السلطان صلاح الدين الايوبي تسامح مع الصليبيين ولم يفرط، فقد جنبهم الفتك بهم عندما دخل القدس فاتحا في اعقاب حطين (583هـ- 1187م، وسمح لهم في اعقاب صلح الرملة (558هـ- 1192م) بالحج، غير أنه في مواقف اخرى كان حازما صارما لأن الامر احتاج منه ذلك، و حادثة فرسان الاستتارية و الداوية و الفتك بهم عقب حطين أمر مؤكد، و خير دليل على أن تسامحه الواعي كانت له حدود. و هكذا لم يفرط السلطان العظيم مؤسس الدولة الايوبية، و انما الذي تكفل بذلك خير القيام و على نحو "كامل" السلطان الكامل نفسه.

و- انما يمكن تصوره من أن الكامل اتجه الى وجهة خاصة لتدويل القدس و أن الفكرة اتجه اليها صلاح الدين الايوبي من قبل عندما وافق على مشروع زواج العادل ابو بكر من جوانا شقيقة ريد شارد الأول قلب الاسد، فيه الكثير من تحميل الأمور أكثر مما تحتل، لقد كان مشروع الزواج المذكور الذي تضمن أن يحكم الزوجان القدس مناصفتا حماية للسلام و تجنب للحرب. كان مشروعاً مخفقا في البداية، لعدم معقوليته بالنسبة للصليبيين، و من المتصور انه كان مجرد مناورة من جانب الملك الانجليزي كي يكسب بها الوقت لا أكثر و لا أقل، و هو أمر لم يغيب عن فطنة القيادة الايوبية ولم يكن صلاح الدين الايوبي يفكر في تدويل القدس، إن الفكرة الاخيرة فكرة حديثة للغاية من خلال الصراع العربي الصهيوني و تقديم مقترحات لتدويل القدس و هكذا من الممكن القول أن تلك الفكرة لم يكن لها سابقة تاريخية في عصر الحروب الصليبية و قد اعتقد المسلمون -و مازالوا- أن القدس عربية اسلامية و أنها عاشت في كنف السلام خمسة قرون كاملة و تمتع غير المسلمين فيها - بصفة عامة- بالتسامح الديني الذي عجز عنه الصليبيون أنفسهم عندما قدموا الى المنطقة، وهكذا فلم يكن أمر "التدويل" قائما حين ذاك، و كيف يفكر السلطان الايوبي صلاح الدين في ذلك الامر و هو الذي استعادها بقوة السلاح، وهزم الصليبيين في حطين؟ من قبل أن يفكر في التدويل من المؤكد

أنه لا يستند الى قوة عسكرية تدعم موقفه، و هكذا ظل ما فعله الكامل نسخة وحيدة للهوان لم تحدث قبل عصره، و لم تتكرر بعده لتكون الحادثة نفسها دليل الادانة في حد ذاتها.<sup>1</sup>

ي- كان من الممكن أن نجد بعض -لا كل- العذر للكامل الايوي في حالة مواجهته لقوات ضخمة مرافقة للإمبراطور فريدريك الثاني و عجز امكانيات الايوبيين الحربية حين ذلك، و من ثم يفكر مثل ذلك التفكير غير أن فريدريك قدم و معه خمسمائة فارس الى حد تصور معه بعض المؤرخين أنه قدم في نزهة الى المنطقة، و بديهي أن ذلك العدد الضئيل كان من الممكن لذلك السلطان أن يستغل نقطة الضعف لذلك الامبراطور في صورة قوته العسكرية و محدوديتها، ناهيك على أنه يقاتل على أرض اجنبية و أن الايوبيين يقاتلون على ارضهم و ملعون من البابا كان من الممكن الاستفادة من كل ذلك لصالح المسلمين و لصالح عدم التفريك فيها لا يفرط فيه، و بدلا من ذلك وجدناه يقبل التوقيع على اتفاق مهين مثل اتفاقية يافا 627هـ /1229م.

ر- اتصور أن من غيري المنطقي الاخذ بتأييد عدد قليل من الفقهاء الرسميين و اغفال البعد الشعبي الجماهيري الذي صنع تاريخ حركة الجهاد الاسلامي في ذلك العصر، الا ان الجماهير كانت تقف بجوار القائد الذي يعبر عن امالها و آمها في مواجهة الغزاة و هو ما وجدناه مع صلاح الدين الايوي، أما في حالة الكامل فقد رفضته الجماهير الصادقة الشعور و التعبير، لأنها ادركت، أن تضحياتها التي بذلتها على مدى العقود السابقة، تذهب ادراج الرياح على يد السلطان الكامل الذي انتزع منه ثعلب الدبلوماسية الالمانية فريدريك الثاني نصرا عزيزا ينذر مثاله دون أن يخسر شيئا من رجاله.

<sup>1</sup> - المقرزي تقي الدين أحمد، السلوك لمعفرة دول الملوك، ج1، تح: مصطفى زيادة، د. ط، د. د. ن، القاهرة، 1936

س- من الملاحظ أن هناك اتجاهات يتحدث عن "التسامح الايوي" لينطلق من ذلك الى تصوير سلوك الكامل الايوي على ظانه جاء من خلال تلك الزاوية "التسامحية" اذ جاز التعبير. ومع ذلك، غير أن هناك ناحية على جانبها من الاهمية و تتمثل في طرح التساؤل و هو: لماذا يطلب من المسلمين ذلك؟ و اذا كان هو ذلك حال المسلمين حين ذاك فماذا قدم الصليبيون ليكون دليل على أن هناك تسامحا متبادلا؟ و الاجابة هي لا شيء لأن تاريخهم مع المسلمين على مدى أعوام طويلة مضت معارك، و مذابح، و رغبة جارفة من جانبها في امتلاك الارض بأي ثمن، و فرض سيادتهم السياسية عليها، و أخلصوا من ذلك أن التسامح الغير مدروس جيدا ضمن الرؤيا السياسية العامة، لا يعد تسامحا بل تهاونا بالغا و تنازلا ابلغ.

ش- قد يتصور البعض أن ما اقدم عليه الكامل الايوي في اتفاقية يافا عام 627هـ - 1229م و تقسيم القدس له على هذا النحو قد تم استرداده عام 642هـ - 1244م<sup>1</sup> عندما دخل الخوارزميين المدينة المقدسة و قضوا على السيادة الصليبية بها غير أن الامر بذلك يكون من قبيل "تهوين" ما أقدم عليه الكامل، الا أنه أقدم على ذلك عام 627هـ / 1229م و لم يكن المعاصرون الذين رفضوا في غالبيتهم الغالبة هذا الموقف يدركون الا ضياع رمز الجهاد السلامي في عصر الصليبيات في صورة تلك المدينة المقدسة على نحو خاص، و لم يكن أحد قط" و هو أمر بديهي" يدرك أنه سيتم استردادها لصالح المسلمين بعد ذلك بخمسة عشر عاما.

و من ناحية اخرى، علينا أن لا نحمل أخطاء المسلمين السابقين لما هو خطأ قتال صحح بعد خمسة عشر عاما، مع ملاحظة أن الذي يدفع الثمن دائما الشعوب التي يخذلها حكامها أحيانا جاريا و راء دكتاتورية ترى أنها على حق و أن الحشود الحاشدة المعاصرين لا يستحقون أن يلتفت الى تصورهم على الرغم من أنهم المشاركون الفعليون في صنع تاريخ تلك المرحلة.

<sup>1</sup> - عوض محمد مؤنس، مرجع سابق، ص 298.

ك- في واقع الامر أن قضية الكامل الايوبي و اتفاهه المذكور مع فريدريك الثاني يعكس لنا الفجوة الكاهنة بين الاجيال الايوبية و رؤيتها للتعامل مع الوجود الصليبي في بلاد الشام و تحالفه الاستراتيجي مع الغرب الاوربي، و من الممكن تصور الامر كالاتي، ( جهاد - سياسة دفاعية- تنازل) وهو ترتيب متفق عليه مع هود كل من صلاح الدين الايوبي، ثم العادل و من بعده الكامل و اتصور أن جذور القضية بدأت مع السياسة الدفاعية للعادل و الطرح المتعدد المرات لتقديم القدس للصليبيين حتى خلال الصليبية الخامسة و صولا الى احداث عام 627هـ / 1229م على نحو عاكس لنا سبق الاسرار و الترصده من جانب الكامل في بيع القدس على هذا النحو المزري و التباين الحاد في السياسة الايوبية من خلال تباين تلك الاجيال، و من الواضح أن الجيل الذي قدم التنازلات لم يقدر جيل التضحيات و الجهاد البارز ضد الصليبي<sup>1</sup>، و هكذا ففجوة الاجيال الايوبية تلك تمثل واقعا تاريخيا و ليس من الممكن انكاره لأن انكاره يمثل تلك الصورة من شأنه ابعادنا على قلب الحقيقة التاريخية مع تقدير الكامل لكل الآراء المخالفة.

ل- في الواقع اتصور أن المؤرخين الاوريين من متى الباريسي حتى كانتروثز، لهم تصوراتهم في تقديم فريدريك الثاني على أنه أعجوبة العالم و أنه سبق عصره و لديهم مبرراتهم - و جهة نظرهم- في ذلك التقويم، أما الكامل الايوبي فلم يكن سابقا على عصره في شيء بل كان متخلف بمراحل عن ذلك العصر بدليل ظاهرة " النكوص " التي ظهرت بجلاء في اتفاقية 627هـ / 1229م و في حالة كونه سابق لعصره بالفعل على صالح امه، و هو أمر كان يأتي بالحفاظ على ما حققه الجيل الايوبي الأول.

و التقويم الختامي لذلك السلطان أنه كان محبا للعلم و العلماء، و ضل طريق العلم و اتجه الى عالم السياسة و لم يكن بالسياسي الداهية أو الحصيف، كما ملم يكن بالعسكري القدير الا في اضيق نطاق، أما وصف ابن واصل له بأنه "خائفه ملوك الارض قاطبة" فهو من قبيل الدعاية السياسية

1 - الصلابي، مرجع سابق، ص 263.

الخرقاء و المنصور أنه اقتحم عالم لم يكن له مؤهلات لذلك، و قد ظهر ذلك جليا خاصتا عندما تعامل مع احد كبار رجال عصره في اوروبا في صورة فريدريك الثاني.

م- ليس هنا مقام عرض كافة الآراء التي اوردها قطاع بارز من المؤرخين المسلمين المحدثين بشأن اتفاقية يافا و كتفى هنا الى جانب ما اورده من قبل عن رأي العلامة سعيد عاشور من قبل بأن أذكر ما اورده المؤرخان أحمد رمضان، قاسم و هما من المختصين في عالم الصليبيين، يقول الأول ما نصه: (فرط الكامل و بدون قتال و لا هزيمة و دون اراقة قطرة دم واحدة في مناطق لا يحق له أن يدعي أنها ملك له بل هي ملك للمسلمين جميعا اراقوا فيها دمائهم تحت راية عمه صلاح الدين الايوبي في حطين و بعدها في معارك يشهد الله على عنفها و ضرورتها و مهما ادعى الكامل من اسباب دعته الى قبول الصلح في يافا سنة 1229م الى أنها برمتها سبابا شخصيتا لا علاقة لها بالإسلام و المسلمين و بذل أن يرفع راية الجهاد بعد صلاح الدين يأتي براية الاستلام في قبول هذه المعاهدة) أما المؤرخ الثاني، و هو قاسم عبده فأورد من نصه: ( أما العالم الاسلامي فقد رأى بحق الهدنة التي عقدها الكامل الايوبي كارثة حقيقية و كان رد الفعل الشعبي عنيفا ضد السلطان الذي بعث سفراء الى مكان آخر لتبرير فعلته و قد علق ابن الاثير على ذلك بقوله: و استعظموا المسلمون ذلك و اكبروه، و وجد له من الوهم و التألم ما لم يمكن وصفه، يسر الله فتحه و عوده الى المسلمين بمنه و كرمه...) <sup>1</sup>

نصل الآن الى الزاوية الختامية في هذا الفصل و هي خاصة بالنتائج التي نتجت عن الحملة الصليبية -وفي حقيقة الامر- أن النتيجة الكبرى التي تمخضت عنها تمثلت عودة بيت المقدس للصليبيين دون اراقة الدماء، و من خلال حملة صليبية عجيبة خرجت و لعنة الباب تلاحق زعيمها فريدريك الثاني، و اذا كانت قد حققت ذلك الهدف الكبير الا أنها -من ناحية أخرى- تمكنت من زرع الانشقاق و الاختلاف بين المسلمين بشأن اتفاقية يافا 627هـ - 1229م المثيرة لأكبر قدرة

<sup>1</sup> - الصلابي، مرجع سابق، ص 264 - 265.

من الدل بين المعاصرين و حتى المتأخرين من زاوية أخرى نجد أن تلك الحملة جعلت لألمانيا موقعها الجديد الفعال على خريطة القوى السياسية الاوربية المشاركة في المشروع الصليبي، و يلاحظ أننا بذلك لدينا ثلاثة اباطرة من الألمان شاركوا في ذلك المشروع منذ بدايته، فهناك كون راد الثالث الذي شارك في الصليبية الثانية، ثم فريدريك برابروسا الذي شارك في الثالثة أما فريدريك الثاني فحقق انتصارا كبيرا عجز عن تحقيقه من قبل ملك فرنسا فليب اغسطس و ملك إنجلترا ريدشارد الاول قلب الاسد وذلك بدعم النفوذ الالماني شرق البحر المتوسط حيث رأى أنه لا حل لمشكلة الحرمان الكنسي الذي فرضه البابا جريجوري في حملة صليبية في بلاد الشام ، على نحو عكس أن السياسة الخارجية الالمانية حين ذاك كانت على صلة وثيقة بالسياسة الداخلية و أنهما كانا و جهين لعملة واحدة و أن المستقبل السياسي بذلك الامبراطور الالماني لم يكن في المانيا ذاتها بل في بلاد الشام ذاتها. كذلك نتج عن تلك الحملة الصليبية أن وضع لنا ان البابوية جعلت من القدس لعبة سياسية فهي لا تقبل عودتها على يد رجل فرض عليه الحرمان الكنيسي بل لا بد أن يكون ذلك من خلال رجالات طبيعية في يدها على نحو اوضح لنا الدور الذي لعبته البابوية التي كانت تتباكى من قبل على ضياع تلك المقدسة في ايدي المسلمين.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - محمد مؤنس عوض، مرجع سبق ذكره، ص 300.

## المبحث الثالث: الحملة الصليبية الخامسة و السادسة:

I. الحملة الصليبية الخامسة 614هـ / 618هـ / 1217م-1221م::1- اسبابها:

في سنة 572هـ / 1176م، اتفق الامبراطور البيزنطي مانويل الاول مع الملك الصليبي بلدوين الرابع (569هـ / 1174م- 1185م) على قيادة حملة ذرية مشتركة ضد مصر، و قد قرر فرسان تنظيم الاستتارية الاشتراك في هذه الحملة من أجل احراز مكاسب مادية تحت قيادة مقدمها جيرار جوبرت ( 569هـ-573هـ / 1172م-1177م-) الذي تمكن من عقد اتفاق مع الملك بلدوين الرابع حمل بموجبه على مرسوم تضمن الالتزام بتنفيذ الوعود التي قطعها الملك لأمرين الاول لتنظيم الاستتارية في حالة نجاح المشروع الصليبي فضلا عن امتيازات أحررة بلغت ثلاثون الف بيزنت لإصلاح الاستتارية في مصر غير أن هذه الحملة لم تتم بسبب تعثر المحادثات بين الجانبين الصليبي و البيزنطي<sup>1</sup>.

كما أن مشروع اشتراك تنظيم الابتارية في الحملة الجديدة المرتقبة على مصر، لم يتحقق و ذلك لان فيليب كونت فلاندر رفض قيادة الحملة لأمرين الاول: انه قال لم يقدم الى فلسطين لاستلام السلطة و لم يخطط لها مسبقا بل كان هدف زيارته ليؤدي الحج، و الثاني أنه ليس بوسعها أن يطلع وحده بهذه المسؤولية بل على العكس اذ كان يرغب فب ان يكون حرا يعود الى موطنه عندما تستدعيه ظروفه الشخصية، و هكذا تبدد و ضاع حلم الاستتارية مرة اخرى في احتلال مصر و بيدوا لنا فرسان تنظيم الاستتارية ادركوا منذ ذلك التاريخ صعوبة تنفيذ مشروع غزو مصر فقد تخلو عنه جزئيا حال ما تسمح لهم الفرصة المواتية في المستقبل القريب آنذاك.

و قد ادت محاولات الملك امريك الفاشلة ضد مصر الى نتيجتين مهمتين تمثلت في تقليص الموارد البشرية و المادية للملكة بيت المقدس الصليبية من جهة و تغيير خريطة العلاقات السياسية لصالح القوى الدينية الاسلامية من جهة أخرى فقد قتل ضرغام شاور في خضم تلك الاحداث و صار أسد الدين شيركوه و زيرا للخليفة الفاطمي العاضد و بعد موت أسد الدين سنة 564هـ / 1169م خلفه ابن اخيه صلاح الدين الايوبي في الوزارة في خلفه العاضد آخر الخلفاء الفاطميين، و

<sup>1</sup> - محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص 109.

بذلك كان فشل مشروع ملريك بشن حملة مشتركة مع البنزطين ضد مصر سنة 565هـ / 1169م و حصارهم الفاشل لدمياط على مدى خمسين عاما بمثابة الاعلان لمرحلة جديدة بطلها الناصر صلاح الدين.<sup>1</sup>

و قد تقلص دور التنظيمات الدينية العسكرية في حروب الصليبيين ضد مصر بعد أن تغيرت سياسة الصليبيين في بلاد الشام خلال القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي قد تطلبت منهم وضع بعض الحاميات الصغيرة مهمتها توفير الحماية لما تبقى لهم من معاقل عسكرية أثناء انشغالهم بالغزو غير متخوفين على ممتلكاتهم الباقية في بلاد الشام، كما كان الحال في عهد الملكين امريك و بلدوين الرابع أثناء القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي.

و قد كان لعناصر التنظيمات الدينية العسكرية دور حربي خلال أحداث الحملة الصليبية الخامسة و قاموا بدورهم بتعزيد و دعم المشروع الصليبي الذي قاد حنا برين (207 - 622هـ / 1210 - 1225م) في حملته على مصر و التي كان قد دعا اليها البابا انوسنت الثالث (525 - 612هـ / 1215 - 1227م) على اثر انعقاد المؤتمر البابوي الرابع في كنيسة لاتيران في روما في 20 رجب 612هـ / 11 تشرين الثاني 1215م الذي عقد اصلا للنظر في بعض شؤون الكنيسة و مسألة توحيد الكنيستين الشرقية الغربية فضلا على الاعداد للحملة الصليبية و هو الهدف الرئيسي لانعقاد المؤتمر الذي حضره كبار رجال الدين الآتين و كبار العلمانيين من الشرق و الغرب.

ويرى الكاهن أن هذه الحملة تمثل اتجاهها جديدا لمسار الحركة الصليبية الى مصر بدلا من الشام و ذلك لأمرين الأول: أن احتلال المواليء سيجعل منها بطاقة راجحة بيد الصليبيين للمقايضة و استرجاع بلاد الشام من المسلمين اما الأمر الثاني: هو القضاء على الدولة الايوبية في مصر لكونها مصدر القوة و الزعامة و المقاومة و حصن الإسلام المنيع و مصدر الخطر الذي يهدد دوما قوى الصليبيين في الشام بفضل طاقاتها البشرية و الاقتصادية فضلا عن أطماع التجار الإيطاليين الذين ساندوا المندوب البابوي بلاجيوس و وجهوا أنظارهم نحو مصر لموقعها الجغرافي على البحر المتوسط و

<sup>1</sup> -مصعب نجم حمادي، دور التنظيمات الدينية العسكرية في حروب الصليبيين ضد مصر 558 - 648هـ / 1162 - 1250م، المجلد السابع، مجلة كلية العلوم الاسلامية- العدد الثالث عشر، الموصل، 1434هـ، 2013م، ص 17.

البحر الأحمر و تحكّمها في أهم طرق التجارة الهندية، كما اعتقدوا أن بإمكانهم تحويلها الى قاعدة تجارية تكفل لهم السيادة على تجارة العالم.

و مما يجدر ذكره أن الملك الصليبي حنا برين قبل دعما ماديا و معنويا من جانب تنظيمات الاستتارية و الداوية و التيرتون أثناء الاعداد للحملة، وقد قام البابا بدفع أموال طائلة لمساعدة الصليبيون و كانت مهمة فرسان هذه التنظيمات جمع الاموال اللازمة لاحتياج المشروع الصليبي المرتقب، و بالفعل فإنه بعد الدعم المالي الذي أسهمت به القوى الصليبية قام مقدمو تلك التنظيمات و كبار القادة بتوزيع هذه الأموال على أغراض الحملة المتعددة.<sup>1</sup>

## 2- بدايتها:

كان البابا انوسنت الثالث يعمل منذ تحولت الحملة الصليبية المعروفة بالرابعة عن اهدافها الاصلية، على تهيئة الفرصة لحملة صليبية كبرى يحقق بها ما تقدم و ما تأخر من برامجه البابوية، فأرسل مندوبيه الى أنحاء غرب اوروبا من سنة 1213م فصاعدا، الدعاية لمشروع هذه الحملة المرجوة وجمع مجلس اللاتيران الكنيسي عام 1215م، لشرح حال مملكة عكا، وترتيب بعض الوسائل المالية اللازمة للنفقات المطلوبة لها. و في أثناء المناقشات حول أهداف هذه الحملة، جرى ذكر مشروع الاستيلاء على مصر ضمن المشاريع المعروضة لاستعادة مملكة بيت المقدس.

ثم أرسل البابا انسونت الثالث 1216م الى السلطان العادل محمد انذارا انجيليا يهدد بقرب و وصول الحملة التي تم اعداده بالاستيلاء على مصر، اذا هو لم يدرك نفسه بتسليم هادئا بارا، بغير قتال غير أن البابا مات في يولييه من تلك السنة، و خشى الملك حنا برين أن يؤدي ذلك الحادث الى تأجيل سير الحملة الى الشرق، فكتب اليه البابا الجديد مونوريوس الثالث يؤكد له أنه واصله اليه قريبا لا ريب فيه. و تحققت تأكيدات البابا مونوريوس بوصول فئات صغيرة متنوعة من هذه الحملة الصليبية المعروفة بالخامسة ارسالا متقطعة الى عكا، خلال سنة 1217م لكن هذه الفئات لم تكن من قومية واحدة لو لم تكن طبعا تحت قيادة موحدة، ولم ينتظر الملك حنا برين من قيادته الاسمية لها شيئا مجديا، بل قام ببعض عملياته الحربية الوقائية بعد انتهاء أجل الهدنة بينه و بين السلطان العادل محمد، دون أن يستعين بفئة من هذه الفئات. ثم وصل الى عكا في ابريل 1218م عدد كبير من

<sup>1</sup> - مصعب نجم حمادي، مرجع سابق، ص 19 - 20.

سفن فريزيا (هولندا الحالية) بصفة اخرى من الجند و العتاد الحربي، و وصلت أنباء مع هذه السفن تخبر بأن الجزء الأكبر من هذه الحملة و هو ما أعده البابا مونوريوس نفسه وشيك الوصول كذلك الى عكا، غداة السفن الازمة من ايطاليا، و كان معظم ذلك جزء كبير مكلفا من الفرنسيين و الانجليز.<sup>1</sup> و بدأ تغير الموقف تماما، و اشار المثيرون على الملك حنا برين بالتحول الى مشروع الاستيلاء على مصر من ناحية البحر، واغروه بالانتفاع بالسفن الفريزية العديدة التي وصلت اليه بخيلها و رجالها من حيث لا يحتسب و بما سوف ينظم اليه من الفرق البابوية الفرنسية و الانجليزي، و هذا و ذاك فضلا عن ما لدى مملكة عكا من خبرة قريبة العهد بطرق الهجوم على الاسكندرية، أو رشيد و فوة أو دمياط و بورة.

و سمع السلطان العادل محمد بكل هذه الاخبار و هو بدمشق، فلم يصدق اولا أن الصليبيين و خاصة الملك حنا برين سوف ينقلبون الى الحرب بعد الهدنة، بل اعتقد كما اعتقد ابنه و نائبه في مصر، و هو الكامل محمد، أن الزعامات الصليبية في غرب اوربا و الشرق سوف تجنح الى السلم جنوحا طويلا بعد أن و ضحت ثمرات العلاقات السلمية في ميادين التجارة الدولية، و بعد أن انصرفت المغامرات الصليبية الى اقاليم الدولة البيزنطية، و استد السلطان العادل محمد، كما استند ابنه الكامل كذلك على ما اظهرته جمهورية البندقية سنة 1217م من اهتمام بعقد معاهدة تجارية جديدة مع مصر لضمان استمرار الحلال على ما هو عليه منذ اوائل القرن الثاني عشر، وهذا فضلا على وجود جالية تجارية اوربية ناجحة بالموانئ المصرية، و يناهز عددها ثلاثة الاف من مختلف الجمهوريات الايطالية.

ولذا فوجئ السلطان العادل محمد و ابنه الكامل بوصول قوات صليبية كبيرة من عكا بحرا، بقيادة الملك حنا برين الى الشواطئ المصرية و نزول هذه القوات عند قرية بورة، ثم زحفها على شاطئ البحر حتى الشمال الغربي قبالة دمياط و القديمة. و اسرع العادل الى اعداد جيش بالشام، على حين

<sup>1</sup> - محمد مصطفى زيادة، حملة لويس التاسع على مصر و هزيمة في المنصورة، الطبعة الاولى، المجلس الاعلى لرعاية الفنون و الآداب و العلوم الاجتماعية، القاهرة، 2000م، ص 44.

زحف الكامل محمد القاهرة شمالا بما لديه من القوات المصرية الايوبية، فمر على فارسكو في يونية سنة 1218م، و عسكر اخيرا عند بلدة العادلية على فرع دمياط، حيث أخذ يعد العدة للقتال.<sup>1</sup>

### 3- مجرياتها:

وصلت مراكب الحملة الخامسة الى المشرق الاسلامي عام 615هـ 1218م و كان أول نزول لها في عكا و تبعها زحف الى مدن الشام ثم عادوا و حولوا انظارهم نحو مصر<sup>2</sup>، و تمكنوا في ربيع الاول من العام نفسه من النزول على بر جيزة دمياط حتى صار النيل بينهم و بين البلد فبنو اسوارا و خنادقا و شرعوا في قتال أهل دمياط، ثم بدأوا بالاستعداد لعبور دمياط التي لم يكن أمر العبور اليها سهلا، لما تتمتع به من حصانة فائقة بفضل برجها المنيع في وسط النيل و المكون من سلاسل حديدية تمتد به من النيل لتمنع المراكب الواصلة في بحر الملح من عبور ارض مصر. و قد وصف ابو شامة هذا البرج بقوله: انه برج عال مبني في وسط النيل و دمياط بحذائه على حافة النيل من غربه و في ناحيته سلسلتان تمتد احدهما على النيل الى دمياط و اخرى عن النيل الى الجيزة فتمتع على سلسلة عبور المراكب من نحيثها ان اريد ذلك حين قتال العدو، و زاد (رنسمان) على ذلك بان دمياط محمية من الخلف ببخيرة تدعى المنزل، و اذا تحقق الهجوم عليها لا يتم الا بمهاجمتها برا وبحرا. و قد حاول الفرنج الزحف نحو برج السلسلة، الا أن الملك الكامل تصدى لهم، و احبط محاولتهم بعد نزوله بناحية تدعى العادلية القريبة من دمياط، حيث بدأ بمقاتلتهم، الا أنهم الحوا في عبور البرج حتى تمكنوا منه بعد اربعة اشهر متواصلة من الحصار.

قام الملك الكامل بالتصدي للفرنج بعد نجاحه في اجتياز برج السلسلة فوضع جسرا عظيما لمنع سفنهم من العبور، ولكنهم قاتلوا حتى تمكنوا منه ثم وضعوا امامهم عوائق اخرى، و عندما استعصى عليهم العبور قصدوا خليجا قديما للنيل كانت تجري فيه المياه يدعى بؤرة فحفروه، و انزلوا مراكبهم فيه حتى دخلوا جيزة دمياط و قابلوا ملك دمياط، لكنهم لم ينالوا منه شيئا الا أن وفاة الملك العادل كانت سببا في احتلال الفرنج للعادلية على اثر التمرد الذي حصل من بعض امراء الجيش،

<sup>1</sup> - محمد مصطفى زيادة، مرجع سابق، ص 44 - 45.

<sup>2</sup> - الصلابي، مرجع سابق، ص 143.

فترك الملك الكامل العادلية الى اشمون طناح،<sup>1</sup> مما ادى الى انقسام العساكر على نفسها و تفرقتها، فركب كل واحد منهم هواه، فتركوا اسلحتهم و غادروا العادلية ولحقوا بالكامل حتى خلا مكائهم من العسكر مما ساعد الفرنج على عبور النيل الى بر دمياط دون قتال و ذلك في دي القعدة من عام 615هـ / 1219م.<sup>2</sup>

قوي امر الفرنج بعد و صولهم لدمياط و احاطوا بها برا وبحرا و حاصروها و بدأوا بالتضييق عليها، و مع ذلك فقد قاومهم المسلمون و صبروا على الحصار الذي فرضه الفرنج عليهم حتى عام 616هـ / 1219م فضاقت الحال بأهل دمياط حتى عجزوا عن حفظ المدينة، فتمكن الفرنج منها في رمضان من العام نفسه، و قد أفرج الفرنج استعداداتهم، فنزلوا اتجاه المنصورة و معهم مئتي الف رجل، و عشرة الأف فارس، و قدم الكامل الشواني صوب المنصورة، و اظهر الفرنج نية الزحف نحو مصر و القاهرة، و في هذه الاثناء برز دور الفقيه تقي الدين طه المحلي الذي قام باخراج الناس من مصر و القاهرة و الدعوة الى النفي العام، و كان يساعده في ذلك الامير حسام الدين يونس، حتى اجتمع الناس من مصر و القاهرة و سائر النواحي اكتملت استعدادات المسلمين و انزل الملك الكامل الفتي فارس على ناحية شار مساح، ليحولوا بين الفرنج و دمياط، و سارت الشواني و تصادف ذلك مع قدوم النجدات للملك الكامل من الشام، فكثر عدد المسلمين حتى بلغ اربعين الفا فحاربوا الفرنج برا و بحرا فاحتجزوا عددا من شواني الفرنج و اسروا الفين و مئتي رجل منهم، ثم ظفروا بثلاثة قطائع حتى ساءت احولهم.<sup>3</sup> فتضعض و ضع الفرنج بذلك، و ضاق بهم المقام، و بعثوا يسالون الصلح و قد استمرت الحرب بين المسلمين و الفرنج حتى نهاية عام 617هـ / 1222م.<sup>4</sup>

و قد لمعت في سماء دمياط كوكبة من العلماء الذين تصدوا للفرنج و على رأسهم الفقيه المالكي جلال الدين الجذامي المشهور بابن شاس الذي استشهد في رجب عام 616هـ / 1219م اثناء

<sup>1</sup>-لؤي البواعنة، دور العلماء المسلمين في مقاومة الغزو الفرنجي (الصليبي) للمشرق الاسلامي (490- 648هـ / 1097- 1250م)، د، ط، دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع، عمان -الاردن، 2006م، ص 265-266.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه ، ص 266.

<sup>3</sup>- لؤي البواعنة ، مرجع سابق، ص ص 267- 268.

<sup>4</sup>- أحمد بن علي المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزء الاول، د، د، ن، د، م، ن، د، ت، ط، ص 202-203.

محاصرة الفرنج لدمياط لقول ابن خلكان توجه لثغر دمياط لما اخذها العدو بنية الجهاد فاستشهد هناك.<sup>1</sup>

كما استشهد اثناء الحصار كل من المحدث ابو التقي الشارعي و استشهد اثناء القتال القاضي ابو عبد الله المصري قاضي قوس المعروف بابن ابي صادق، و كذلك الكاتب و المحدث الرئيس تاج الدين ابو الحسين كما شارك علماء مقادسة في القتال بدمياط و منهم الفقيه و المحدث عبد الله ابن عبد المغني (229هـ / 1231م) الملقب بجمال الدين اذ ذكر ابن رجب الحنبلي انه قدم من الشام الى مصر للمشاركة في الجهاد ضد الفرنج المحاصرين لدمياط.

لقد كان عام 618هـ / 1221م عاما حاسما بالنسبة للحملة الصليبية الخامسة على دمياط و بقيت جذوة الحرب مشتعلة بين المسلمين و الفرنج، الى أن عزائم الفرنج قويت في هذا العام لكثرة النجيدات التي وصلت اليهم، و كذلك حال الملك الكامل فقد وصلته نجيدات من أخويه الاشراف و المعظم، و من صاحب حماة و حمص و بعلبك فتقاتل الفرقان برا و بحرا، و قويت عساكر المسلمين على الفرنج و مع ذلك فقد بقيت رسائل الصلح متودده بين الجانبين.

تقدم المسلمون على الفرنج بعرض يضمن تنازلهم عن القدس و مدن شامية اخرى مقابل تسليم دمياط الا أن الفرنج امتنعوا عن ذلك و طلبوا عوضا عن خراب اسوار القدس ادى رفض الفرنج بالتنازلات التي قدمها المسلمون الى استمرار القتال.<sup>2</sup>

#### 4- نتائجها:

استمر القتال بين المسلمين و الفرنج حتى عبرت طائفة من المسلمين الى مواقع الفرنج، و فتحوا مكانا عظيما في النيل و كان فيه زيادة، فغرق اكثر الفرنج و صار الماء حائلا بينهم و بين دمياط و لم يكن امامهم جهة يسلكونها الا طريقا واحدة ضيقة، فقام الكامل بسدها فانحصروا من جميع الجهات.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان، و فيات الاعيان و انباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس، المجلد الثالث، دار الثقافة، بيروت - لبنان، 1969م، ص 61.

<sup>2</sup> - شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان، مرجع سابق، ص 268 - 269 و 270.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 270.

وكانت هذه الفترة من سنة ثمانية عشر و ستمائة و فيها سار المعظم الى اخيه الاشرف فستعطفه على اخيه الكامل، و كان في نفسه موجدة عليه، فأزالوها و ساروا جميعا نحو الديار المصرية لمعاونة الكامل على الفرنج الذين قد اخذوا ثغرة دمياط و استحكموا اراهم هنالك من سنة اربع عشر، و عرض عليهم في بعض الاوقات ان يرد اليهم بيت المقدس و جميع ما كان صلاح الدين فاتحه من بلاد الساحل و يترك دمياط، فامتنعوا من ذلك و لم يفعلوا. فقدر الله تعالى انهم ضاقت عليهم القوات و حاصرهم المسلمون فعند ذلك انابوا الى المصالحة بلا معاوضة فجاء مقدموهم اليه و عندهم اخواه المعظم عيسى و موسى و الاشرف و كان قائمين بين يديه، و كان يوما مشهودا<sup>1</sup>، فوقع الصلح على ما اراد الكامل محمد بيض الله وجهه و ملوك الفرنج و العساكر كلها واقفة بين يديه ومد سماطا عظيما، فاجتمع عليه المؤمن و الكافر و البار و الفاجر.<sup>2</sup>

## II. الحملة الصليبية السادسة:

### 1-/"اسبابها":

بعد فشل الحملة الصليبية الخامسة، تدهورت أحوال الصليبيين في الشرق فأخذ البابا يلح على الامبراطور فريدريك الثاني لإعداد حملة صليبية جديدة تستعيد هبة الصليبيين و الكنيسة الغربية فتقاعس الامبراطور لذلك مما ادى الى اصدار قرار كنيسي بحرمان الامبراطور من رحمة الكنيسة، فخشي الامبراطور غضب البابا فخرج ملبيا طلبه مستغلا الانشقاق داخل البت الايوبي و الفرصة الذهبية التي اتته من العادل.

لقد كان لتضامن ابناء السلطان الايوبي (العادل) الثلاثة الكامل محمد و المعظم عيسى و الاشرف موسى، اثره الواضح في تحقيق النصر في دمياط و افشال الحملة الصليبية الخامسة بقيادة ( حنا برين) و كان المأمول أن يظل هذا التحالف قويا، لكن ذلك فانفرط العقد، وانكفأ كل واحد منهم حول ذاته، يعظم من شأن مصالحه و مكاسبه دون النظر الى مصلحة امته، فشب صراع بين الكامل و أخيه السلطان المعظم عيسى صاحب دمشق.

<sup>1</sup> - عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القرشي الدمشقي الشافعي، البداية و النهاية الجزء الثالث عشر، د، ن، د، م، ن، د، ت، ط، ص 83.

2- عماد الدين، المرجع نفسه، ص 83.

و استعان كل واحد منهما بقوة خارجية لمؤازرته في مواجهة الآخر، فاستنجد الملك المعظم، بالسلطان جلال الدين خوارزم شاه سلطان الوله الخوارزمية، في حين استعان السلطان الكامل بفريديريك الثاني صاحب صقلية و امبراطور الدولة الرومانية المقدسة في غرب اوروبا. وكان الثمن الذي اعلنه السلطان الكامل الامبراطور فريدرش هو تسليمه بيت المقدس و جميع فتوح صلاح الدين بالساحل الشامي، و ذلك مقابل مساعدته في حربه ضد اخيه المعظم، و ياله من ثمن غال في مقابل هدف من غير نبيل.

و اذا كان السلطان الكامل قد عرض تسليم القدس للصليبيين مقابل الجلاء عن دمياط، فانه قد يلتمس له البعض العذر فيما اقد عليه، فان هول المصيبة قد اطاش بلبه، و اعجزه عن التفكير السليم، و لكن ليس عذر في عرضه الثاني، فضلا عن كونه لا يملك الحق في هذا التنازل اصلا، و هذا من اعجب ما يقابله الانسان في تصفحه للتاريخ الاسلامي: تفريط دون حاجة، تنازل مقابل اهداف غير نبيلة. و عندما وصل الى (عكا) وجد الامور على غير ما يتمنى، فالسبب الذي من اجله استدعاه السلطان الكامل قد زال و انتهى، فالملك المعظم عيسى الذي كان يعمل على التوسع على حساب اخوته و اهل بيته قد توفي، فلم تعد هنالك حاجة تدعوا السلطان الكامل الى الوفاء بوعده للإمبراطور فريديريك، بعد ان اقتسم الاخوان الكامل محمد و الاشرف موسى ممتلكات اخيهما المعظم عيسى مثير القلاقل، و عادت الامور في البيت الايوبي الى الهدوء و الاستقرار الى حد ما.<sup>1</sup>

## 2- مجرياتها:

في ظل الظروف و الاحداث التي احاطت بقيام الحملة الصليبية السادسة نرى أن هذه الحملة اختلفت عن الحملات السابقة و اللاحقة التي و فدت على الشرق الاسلامي من ثلاث نواحي:

**الاولى:** ضالة عدد القوات المشتركة. فقد ترأس الامبراطور فريديريك الثاني قوة عسكرية لا تتجاوز ستمائة جندي لا تستطيع مواجهة المسلمين، في حين حشدت الحملات الاخرى اعداد هائلة من الرجال.

<sup>1</sup> - سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، اطلس الحملات الصليبية على المشرق الاسلامي في العصور الوسطى، الطبعة الاولى، شركة العبيكات للأبحاث و التطوير، الرياض، 1430هـ 2009م، ص 160 - 161.

الثانية: عدم تأييد الباباوية فقد رحل الامبراطور الى الشرق محروما من عطف البابا ، في حين نادى الحملات الاخرى رضى الباباوية و عطفها.

الثالثة: ساد أوصاف الحملة الصليبية السادسة روح التسامح مع المسلمين و الشعور بالود و المحاملة، فبدت و كأنها زيارة ودية لملك شرقي صديق، في حين فرضت الحملات الاخرى بروح العداء و الرغبة في الانتقام منها.<sup>1</sup>

و صل الامبراطور فريدريك الثاني الى عكا في ( شوال 625هـ / ايلول 1228م) قاد ما من جزيرة قبرص بعد أن أكد تبعيتها للإمبراطورية الغربية، و في نيته الحصول على بيت المقدس من الكامل محمد مقابل ما يقدمه له من مساعدة ضد اخيه المعظم عيسى، لكن و اجتهته فور و صوله صعوبات عدة أهمها:

- رفض كثير من القادة الصليبيين في الشرق التعاون معه بسبب قرار الحرمان الذي سبق صدوره ضده، كما جرى الارتياح فيما اذا جاءت الايمان التي تم حلفها له لا زالت صحيحة.
- لم يتحمس الدوية و الاستتارية للتعاون مع رجل محروم من الكنيسة، لكنه استند الى تأييد التيوتون بوصفهم المان.
- لم يكن معه جيش كثيف، اذ أن عددا من العساكر الذين خرجوا بحه هنري الرابع عادوا الى بلادهم، اما نتيجة لقلقهم، و اما خوفا من أن يسيئوا الى الكنيسة. و الواقع أن هذه القوة العسكرية قليلة العدد لم تستطع أن تحقق اي انجاز يذكر فشغلوا انفسهم بتحسين قيصرية و يافع و غيرهما من مدن الساحل، كما انتزعوا نصف صيدا من يد المسلمين، و حصنوا قلعة البحر، و اعدوا بناء حصن القرين الى الشمال الشرقي من عكا، فوجد الامبراطور نفسه عاجزا عن حشد قوة عسكرية بالغة التأثير و قادرة على أن توجه ضربة حاسمة الى المسلمين.
- ازداد قلق الامبراطور نتيجة ما ورد اليه من ايطاليا من نبأ بأن نائبه فشل في الهجوم على طرف أنكونا ضد البابا، و أن هذا الاخير يحشد قواته لغزو اراضيه في ايطالي.

<sup>1</sup> - ستيفن رنسيان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العرمي، الطبعة الثانية، دار الثقافة بيروت، 1981م، ص

● اصيب الامبراطور بجيئة امل شديدة عندما وصل الى عكا، فقد وجد الموقف الساسي قد تبدل بوفاة عيسى في ( ذي القعدة 624هـ / تشرين الثاني 1227م) و أن الكامل محمد لم يعد بحاجة الى مساعدته و هو الذي لم يأت الى الشرق الا باستدعائه، و لما ارسل اليه يطالبه باحترام و عده و تسليم بيت المقدس رفض الكامل و أعلن سراحه بأنه كان سيعطيه بيت المقدس ثنا للمساعدة التي سيقدمها له، أما و قد تبدلت الظروف و استغنى عن المساعدة، فلا داعي لدفع ذلك الثمن لا سيما و أن التفريط في البيت سيثير شعور المسلمين، و اوعز الى سفيره الى الامبراطور فخر الدين بن يوسف السيخ ان يبذل جهده في اطالة المفاوضات الى أن تسقط دمشق في يده.

و انقضت اهر عدة في المفاوضات و المساومات التي سادها جو من الخداع.<sup>1</sup> المتبادلة فقد كان كل طرف شديد الاهتمام بأسلوب الآخر كما لم يكن اي منهما مستعد للمسير الى القتال اذا امكن تجنبه غير أنه كان لزاما على كل منهما من أجل المحافظة على مكانته عند قومه، أن يبذل قصار جهده في التشدد في المساومة، إذ أن اي تفريط في حقوق المسلمون يشير هؤلاء ضد الكامل محمد، غير أنه كان مستعدا أن يبذل للمسيحين من الامتيازات ما يكفل له المساعدة في المضي في سياسته الكبيرة الرامية الى اعادة توحيد البيت الايوبي غير أنه ينبغي أن لا تتجاوز هذه الامتيازات الحدود.

و لم يقل موقف الامبراطور فريدريك الثاني حرجا، و هو يتعرض للضغط يوما بعد يوم، و لم يكن جيشه من الكثافة ما يكفي لخوض معركة كبيرة، و خرج من بلاده محروما من الكنيسة معتمدا على وعد الكامل محمد له بإعطائه بيت المقدس لتحسين مركزه في المجتمع الغربي، و لو كان يعلم بان صاحب مصر سوف ينكث بوعدده، لما خرج أصلا الى الشرق أو لاستعد جديا لحرب المسلمين و جلب معه جيشا كبيرا للدفاع عن كيان الصليبيين و بخاصة انه لا يستطيع الاعتماد على الصليبيين المحليين بان أي مسيحي مخلص يأبى أن يتعاون مع رجل محروم من الكنيسة، و لما طلب أثناء المفاوضات باستعادة كامل فلسطين، أخبره فخر الدين يوسف بناء على تعليمات سيده أنه ليس

<sup>1</sup> - ستيفن رنسيمان، مرجع سابق، ص 329.

بوسعه أن يسئ الى المسلمين الى هذا الحد الكبير، و هكذا لم يبقى الى الامبراطور سوى طريق الاستعفاف<sup>1</sup>

### 3- نتائجها:

كانت اهم نتائج هذه الحملة العجيبة، التي تجنبت القتال و إراقة الدماء، أن عقدت هدنة مدتها عشر سنوات بين الكامل الايوبي و فريدرك الثاني على اساس أن يتسلم الامبراطور مدينة القدس و بيت لحم، و شريطا من الارض يصل بين عكا و القدس.

و يبقى في حوزة المسلمين المسجد الاقصى و قبة الصخرة و المناطق الريفية، و في المقابل يتعهد فريدرك بمنع اي حملة صليبية من اوروبا طوال فترة العشر سنوات.

و بعد أن توج فريدرك الثاني ملكا على مملكة بيت المقدس الصليبية و عاصمتها القدس ( بدلا من عكا) عاد الى اوروبا في يونيو 1229م / 626هـ بمكاسب لم تستطع أي حملة اخرى قبله أن تحققها منذ حملة الصليبيين الاولى في اواخر القرن الحادي عشر ميلادي.

أما العالم الاسلامي فقد رأى - بحق- أن تلك الهدنة التي عقدها الكامل الايوبي كارثة حقيقية. و كان رد الفعل الشعبي عنيفا ضد السلطان الذي بعث بسفرائه الى كل مكان في العالم الاسلامي ليبرر فعلته النكراء و اتفاقه المشين.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - أ، د. محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص 599.

<sup>2</sup> - مصطفى وهبه، موجز تاريخ الحروب الصليبية، ط1، مكتبة الامام للنشر و التوزيع، المنصورة، 1418هـ - 1997م، ص



## الفصل الثاني

### الحملة الصليبية السابعة

المبحث الاول: اسباب الحملة

المبحث الثاني: الاعداد للحملة

المبحث الثالث: احتلال دمياط

المبحث الرابع: معركة المنصورة و تورانشاه

يقود المعركة

تمهيد:

على الرغم من أن لويس التاسع كان طفلاً في الثانية عشر من عمره عند وفاة أبيه إلا أن ذلك لم يعق الملكية الفرنسية بفضل وصاية أمه بلانش القشتالية (Blanche of castile)، و لم يلبث أن فاق لويس التاسع أمه في الصلاح و التقوى حتى سمي القديس لويس. على أن الأمراء و البارونات الإقطاعيين استغلوا فرصة صغر سن الملك و وصاية أمه للحد من نفوذ الملكية المتزايد، و لتحقيق ذلك دبر البارونات أكثر من مؤامرة ضد الملك الصغير و أمه، و لعل أهمها تلك المؤامرة التي حيكّت سنة 1229 التي تزعمها دوق برجنديا و كونتات بريتاني و شامبيني و لامارش، يؤيدهم هنري الثالث ملك إنجلترا، و لكنها باءت بالفشل بفضل حزم بلانش - الملكة الوالدة - من جهة، و مساعدة البابوية - الحليفة الطبيعية لأعداء المرطقة الالبيجنسية - من جهة أخرى، و هكذا استمرت الأوضاع حتى انتهت فترة الوصاية سنة 1235. و لم يحاول لويس التاسع أن يستفيد من الدروس التي تلقاها أسلافه، فدفعته حماسته الدينية على القيام بالحملة الصليبية الشهيرة المعروفة بالسابعة، على الرغم من معارضة أمه و نصيح وزرائه، و قد قضى لويس التاسع عدة سنوات في الإستعداد لهذه الحملة<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - سعيد عبد الفتاح عاشور و ، غنيم إسمت ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، د . ط ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، 1976م، ص 229 - 230.

المبحث الاول: الحملة الصليبية السابعة سنة 646 هـ - 648 / 1248م - 1250م:

I. أسبابها :

لم تمض ثلاث سنين على إنتهاء الحملة الصليبية السادسة التي إستهدفت مصر، حتى توجهت الحملة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا إلى هذ البلد بهدف الإستيلاء عليه و تحقيق الحلم الصليبي المتداعي، و حدث عقب المعركة التي إنتصر فيها الملك الصالح أيوب و حلفاؤه الخوارزميون على التحالف الدمشقي سفارة إلى أوروبا الغربية مؤلفة من جاليران، أسقف بيروت، و ألبرت بطريق أنطاكية، لتشرح للبابا أنوسنت الرابع (1242-1254م) خطورة الموقف في بلاد الشام و تطلب منه المساعدة العاجلة حتى لا يتعرض الصليبيون للفناء<sup>1</sup>.

و في (شهر محرم عام 643 هـ / شهر حزيران عام 1245 م)، عقد البابا مجمعاً في مدينة ليون الفرنسية للتباحث فيما ينبغي إتخاذه من تدابير لمقاومة أطماع الإمبراطور، و لحق به أعضاء السفارة و قدموا للجميع تقريراً عن أوضاع الصليبيين في الشرق، فتقرر إرسال حملة صليبية جديدة لتدارك الموقف قبل فوات الأوان<sup>2</sup>.

و كان عند الملك الفرنسي لويس التاسع من الدوافع ما حملة على الإشتراك فيها، بينما أحجمت المانيا و إيطاليا عن مساندتها بفعل الصراع الذي كان قائماً آنذاك بين البابوية و الإمبراطورية، و الحقيقة أن الإمبراطور فردريك الثاني إنتهج سياسة مزدوجة تجاه الحملة، حيق قام بتزويدها بالمؤن عند مرورها بمقلية في طريقها إلى قبرص، كما إحتفظ بعلاقات طيبة مع حلفاء الكامل محمد، فإتصل سراً بالصالح أيوب و أرسل إليه سفارة يعلمه بتحرك الصليبيين و نواياهم، لقد تعددت و تشعبت أسباب هذه الحملة، فمنها أسباب رئيسية تنطوي على الدوافع الحقيقية لقيامها، كما أن هناك عوامل ثانوية ساعدت على التنفيذ<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - الصلابي علي محمد ، الأيوبيون بعد صلاح الدين و الحملات الصليبية من الرابعة إلى السابعة ، ط 1 ، دار ابن الجوزي، القاهرة ، 2008 م، ص 294.

<sup>2</sup> - طقوش محمد سهيل ، تاريخ الحروب الصليبية (حروب الفرنجة في المشرق) (489-690 هـ / 1096 - 1291 م)، ط 1 ، دار النفائس للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت - لبنان ، 1432 هـ - 2011 م

<sup>3</sup> - جوزيف نسيم يوسف ، العدوان الصليبي على مصر (هزيمة لويس التاسع في المنصورة و فارسكور) ، د . ط ، دار النهضة العربية، بيروت، 1981 م، ص 47-48.

و لعل من أهم الدوافع الحقيقية التي أثارت المجتمع الغربي بعامة و شعور الملك الفرنسي بخاصة و حرضت الجميع للثأر:

- 1- تعرض الصليبيين في الشرق إلى مضايقات خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي على يد الخوارزميين بشكل خاص.
- 2- ضياع بيت المقدس منهم، حيث استعادها الصالح أيوب بمساعدة الخوارزميين الذين نكلوا سكانها النصرى، و نهبوا دورهم و أموالهم، حتى أضحى وضعهم مقلق من وجهة النظر الصليبية.
- 3- لقد أنزل المسلمون ضربات قاسية بباقي الممتلكات الصليبية في بلاد الشام تمثل بعضها بإستعادة الصالح أيوب طبرية و عسقلان، حتى أضحت باقي ممتلكاتهم ومعاقلمهم مهددة بالخطر و الضياع<sup>1</sup>.

و اما فيما يتعلق بالعوامل الثانوية فلعل أهمها :

- 1- لقد حدث ان مرض لويس التاسع حتى أشرف على الموت، و لما أفاق من شدة المرض، نذر إن من الله عليه بالشفاء أن يحمل الصليب و يذهب لغزو الأراضي المقدسة.
- 2- يرى بعض المؤرخين أن الملك الفرنسي حمل الصليب، وتعهد بالقيام بحرب مقدسة لإنقاذ صليبي الشرق إثر رؤيا ظهرت له اثناء مرضه فحواها أنه رأى فيما يرى النائم شخصين يتقاتلان أحدهما مسلم و الآخر نصراني، و قد انتصر الأول على الثاني، ففسر هذه الرؤيا بحاجة صليبي الشرق للمساعدة و أن الله أناط به هذه المهمة.
- 3- كان للآثار و الذخائر الدينية المقدسة التي حصل عليها لويس التاسع من حنا دي بريين، الملك الإسمي لبيت المقدس، وبلدوين الثاني إمبراطور القسطنطينية اللاتيني أثر غير مباشر دفعه للقيام بحملته على مصر من أجل استعادة بيت المقدس.
- 4- نتيجة لوقوع الكوارث بالصليبيين في الشرق، فقد أرسل هؤلاء الرسل إلى الغرب الأوربي يستنجدون به - كما أشرنا - و أنذروا الأوربيين باحتمال ضياع ما تبقى من ممتلكاتهم إذ لم يلبوا نداء الاستغاثة.

<sup>1</sup> - علي محمد الصلابي، الايوبيون بعد صلاح الدين، مرجع سابق، ص ص 294 - 295.

5- ساند البابا أنوسنت الرابع مشروع لويس التاسع، فدعا إلى الاشتراك بالحملة الصليبية السابعة، خشية أن يطغى نفوذ الملك الفرنسي، الذي اشتهر بالورع والتقوى، و عرف بمواقفه الحازمة حيال الكنيسة و رجال الدين، على نفوذه كرجل دين و رئيس أعلى للكنيسة اللاتينية<sup>1</sup>. و من الأهمية بما كان دراسة دوافع الملك لويس التاسع الفرنسي في مشاركته للمشروع الصليبي، و يلاحظ أن مؤرخ سيرته جان دي جوانفيل، قد أضفى عليه طابعاً دينياً على نحو فعل العديد من الباحثين يتصورون ذلك الجانب في الملك الفرنسي المذكور، و جاء المؤرخون الفرنسيون المحدثون ليعمقوا الفكرة بشأن القديس لويس، فهل صفة القداسة التي إرتبطت بلويس التاسع تعني اننا أمام صليبي يحركه الدين في المقام الأول، خاصة أنه الملك الوحيد من بين الذين شاركوا في دعم الحركة الصليبية من بين ملوك أوروبا من وصف بالقداسة، وتجد له على ذلك مادة مستقلة في الدراسات الخاصة بمعاجم القديسين؟<sup>2</sup>

في تصوري، أن ذلك الملك الفرنسي من التجني على الموضوعية التاريخية الواجبة ان نتعامل معه مع الرؤية الجوانفيلية التي صيغت في القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري، و المنطق يدعونا إلى تصور البواعث الحقيقية المحركة لذلك الملك الفرنسي، و في هذا النطاق نعرف ان لويس التاسع أراد تدعيم نفوذ أسرة آل كاييه الفرنسية فيما وراء البحر المتوسط، من خلال إرتباط الصليبية بفرنسا بصفة عامة - كما أسلفت الإشارة من قبل - و كانت لدى ذلك الملك رؤية إقتصادية لتكوين مستعمرات فرنسية جديدة في النطاق البحر المتوسطي، كذلك لا تغفل رغبته في زعامة أوربا للمشروع الصليبي في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري، و لا تغفل زاوية أخرى على جانبها الكبير من الأهمية في صورة رغبة ذلك الملك الداهية الذي إتضح بثياب الدين في تكوين حلف مسيحي / مغولي يسعى حثيثاً إلى تطويق العالم الإسلامي و الفتك به، و يقرر أحد المؤرخين ما نصه (الواقع أن فكرة الحملة الصليبية بقيادة لويس التاسع جاءت مواكبة لفكرة إقامة حلف مغولي / صليبي ضد المسلمين)<sup>3</sup>.

1- محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص 378-379.

2 - عوض محمد مؤنس ، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق و الغرب في القرنين 12-13 م / 6-7 هـ ، ط 1 ، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، مصر ، 1999 / 2000م، ص 305-306.

3 - قاسم عبده ، ماهية الحروب الصليبية (الإيديولوجية ، الدوافع ، النتائج) ، ط 2 ، دار ذات السلاسل ، الكويت ، 1993 م، ص 157.

و هذا الموقف يكشف لنا كيف أن ذلك الملك الفرنسي إتبع أسلوباً جديداً في صنع التحالفات السياسية مع القوى الدولية حتى تلك الواقعة خارج النطاق الجغرافي الأوربي من أجل تطبيق المسلمين، على نحو يكشف لنا مدى تنامي الحركة الصليبية و دخولها أطوراً جديدة للصراع خاصة بعد أن فشلت العديد من الحملات الصليبية في تحقيق أهدافها، و لا ريب في ان ما أورده مؤرخ سيرته في هذا الصدد خير دليل يدعم ذلك التطور.

و هكذا، يتضح لنا بجلاء لا يرتاب فيه مرتاب، أن لويس التاسع حركته عدة دوافع مجتمعة كل منها له شأنه في الصراع الإسلامي - الصليبي حينذاك، أم إتجاه المؤرخين الأوربيين - و لاسيما الفرنسيين على نحو خاص - لإضفاء طابع المجد حول ذلك الملك الفرنسي على نحو خاص ففي تقديري الهدف منه خلق نموذج للبطولة الأوربية في المرحلة القروسطية لتعميق فكرة الصليبيات و التضحية من أجل المسيحية حتى في عصرنا الحالي، و في تقديري أن «الجانب الدعائي» ساهم على نحو كبير في جعل ذلك الملك و كأنه اسطورة أوربية، و قد بدأ ذلك الجانب منذ جان دي جوفنيل و حتى الآن على الرغم من أن إنجازاته في عالمي الحرب و السياسة لا تضمن له البتة ذلك المستوى الرفيع الذي صورته به أفلام الغرب الأوربي.

و هناك من رأى أن الملك لويس التاسع مما شجعه للقيام بتلك الحملة الصليبية، إمتلاكه لبعض الذخائر المقدسة مثل تاج الشوك، و قطعه مما يعتقد المسيحيون أنه خشب الصلب، و قد حصل على تلك المقتنيات من الملك جان دي برين، و من بلدوين الثاني الإمبراطور اللاتيني للقسطنطينية (1237-1261 م / 635-660 هـ)، وهناك من تصور ان بدايات أفكار ذلك الملك للإشتراك في المشروع الصليبي إرتبط بجيازته تلك الآثار الدينية، و مع ذلك فمن المتصور أن ذلك يعد سبباً ثانوياً إلى جانب الأسباب الأكثر أهمية، وقد ادرك المؤرخ السكندري الكبير الراحل جوزيف نسيم يوسف ذلك المغزى بصورة واضحة<sup>1</sup>.

و قد تجهز لويس التاسع تجهيزاً عظيماً، وإصطحب معه الكثير من الأمراء و الأشراف بفرنسا، و كان معه إخوته الثلاثة :

- روبرت دارتوا ، - ألفونس دو بواتيه ، - شارل دانجو.

كما كان معه المؤرخ الفرنسي لهذه الحملة (جوفرادو سرجين) و زوجته.

<sup>1</sup> - محمد مؤنس عوض ، مرجع سابق، ص ص 306 - 307.

و كانت الفكرة السائدة في أوروبا منذ أواسط القرن الثاني عشر الميلادي، أن مصر ما دامت على قوتها و بأسها فلا سبيل إلى نجاح الحملات الصليبية و إسترداد بيت المقدس من المسلمين، الذين نجحوا في إستعادته من الصليبيين مرة ثانية سنة 642 هـ / 1244م، على يد الملك الصالح أيوب، إلا بشن حملة عليها، و تم التنسيق لذلك مع البابا أنوسنت الرابع و الملك الفرنسي لويس التاسع و شهد مجمع ليون الديني الدعوة لها سنة 646 هـ / 1248م<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث ، أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى ، ط 1 ، شركة العبيكات للأبحاث و التطوير ، الرياض ، 1430 هـ / 2009م، ص 170.

المبحث الثاني: الإعداد للحملة:

تبنى البابا أنوسنت الرابع هذه الحملة و أعلن تأييده لها، وكانت دعواه عاملاً فعالاً في إعدادها، فضلاً عن لويس التاسع الذي أخذ على عاتقه مهمة النهوض بالحملة، وقد إستغرق إعداد الحملة ثلاث سنوات، و فرضت ضرائب إستثنائية على الجميع بما فيهم رجال الدين للإئناق على الحملة، كما عقد لويس التاسع مجلساً كبيراً في باريس حضره كبار رجال المملكة و الكنيسة و دعاهم إلى حمل الصليب و الإنضمام إلى صفوف الحملة، و نجح في إثارة حميتهم الدينية، و من جانب آخر قام لويس بتجهيز أسطول كبير لنقل الجنود و العتاد عبر البحر بعدما تقرر إستبعاد الطريق البري حتى يضمن نجاح حملته، و إستأجر عدداً من السفن من جنوى و مرسيليا لهذا الغرض، كما عدل لويس على توفير العتاد و المؤن فضلاً عن المال لتغطية نفقات الحملة، و إستعان بالبابا في هذا الصدد، لأن البابا هدد بإنزال قرارات الحرمان على كل من يخالف التعليمات التي أصدرها من أجل إعداد الحملة، و بعد أن إنتهى لويس من المشاكل الخاصة بالنقل و التموين و موارد الحملة، عمل على تنظيم مملكته و إقرار المن و النظام بداخلها قبل سفره، و أناب عنه في الحكم والدته الملكة بلانش، و أحضر من يعملون في بلاطه ليقسموا بيمين الولاء و الطاعة له وللملكة الأم أثناء غيابه<sup>1</sup>.

I. رحيل الحملة إلى مصر:

غادر الملك و الحملة مدينة باريس إلى مدينة ليون حيث كان البابا انوسنت الرابع فحصل منه على البركة و الغفران - بالمفهوم المسيحي - ثم اتجه إلى ميناء إيجسمورت جنوب فرنسا في الثالث عشر من يونيو عام 1248 م<sup>2</sup>.

ثم أبحر لويس من مرسيليا قاصداً الشرق و معه زوجته و إخوته الثلاثة و اتجهت الحملة إلى مصر مروراً بقبرص بجيش قوامه 50 ألف مقاتل، و منها تأخذ مسارها نحو بيت المقدس لاستردادها و هي هدف هذه الحملة، و لم يكن هدف تلك الحملة إعادة الاستيلاء على بيت المقدس، أو ضرب مصر باعتبارها قاعدة حربية هامة فحسب، و إنما استهدفت أيضاً هدفاً بعيد المنال، يتمثل في

1 - محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية، ط1، دار النهضة العربية، د. م. ن، 1999م، ص 307.

2 - علي محمد الصلابي، مرجع سابق، ص 297.

تكوين حلف نصراني وثني بين الصليبيين و المغول يهدف الدولة الايوبية في مصر و الشام من ناحية، و يطوق العالم الإسلامي و يحيط به من الشرق و الغرب من ناحية أخرى<sup>1</sup>.

و قد مكنت الحملة في جزيرة قبرص حوالي ثمانية أشهر، و خلال هذه الفترة تسربت أخبار الحملة إلى مصر، فاستعدت القيادة الايوبية لمواجهة الغزاة و حصنت مدينة دمياط التي كانت تتوقع الهجوم عليها، وزودت المدينة بالمقاتلة و المؤن، و كان السلطان الأيوبي الصالح أيوب في بلاد الشام عندما وصلت إليه الأنباء بتحركات الصليبيين، فأسرع بالعودة على مصر بعدما عقد صلحاً مع صاحب حمص، و نزل ببلدة أشموم طنح في الثالث من صفر عام 647 هـ/ الثامن عشر من مايو عام 1249 م، ليكون في مواجهة القوات الصليبية إذا ما وصلت إلى دمياط، و زاد الصالح أيوب في تحصين المدينة و إعداد الجيوش و عهد إلى طائفة من بني كنانة لما عرف عنهم بالشجاعة لحماية المدينة من داخل وخارج، كما أصدر أوامره إلى نائبه في حكم مصر حسام الدين بن علي لإعداد قطع الأسطول و إرسالها على دمياط تباعاً، و أوفد السلطان الأمير فخر الدين يوسف مقدم العساكر على رأس جيش كبير إلى البر الغربي لدمياط (جزيرة دمياط)، حتى يكون في مواجهة الصليبيين عند وصولهم إلى بر المدينة الغربي، كما حدث في الحملة الصليبية الخامسة<sup>2</sup>.

في يوم السبت من ذي القعدة وقع الشروع في عمل عدة مراكب للرد على غزو الفرنج و استمر العمل فيهم كل يوم إلى أن نزل السلطان في يوم الثلاثاء الحادي عشر من صفر سنة ثمان و عشرين و ستمائة و في هذه الأيام كثرت الأتيار بحركة الفرنج، فخرج عدد من الأمراء المماليك لحراسة الثغور، و في هذا الشهر اخذ السلطان في تجهيز الغزاة و عين جماعة كبيرة من المماليك السلطانية و الأمراء و ألزم كل أمير أن يجهز عشرة من مماليكه<sup>3</sup>.

و عندما خرجت الحملة من إيجسمورت أسند لويس التاسع قيادة الأسطول إلى الجنوبيين لخبرتهم في شؤون الملاحة، و تقدم الأسطول السفينة التي تحمل علم القديس دنيس شعار فرنسا، و رست الحملة في ميناء ليماسول جنوب قبرص في السابع عشر من سبتمبر عام 1248 م، و في

<sup>1</sup> - سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث ، مرجع سابق، ص 170.

<sup>2</sup> - محمود سعيد عمران، مرجع سابق، ص 308.

<sup>3</sup> - ابن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت 874 هـ ) ، النجوم الزاهرة في أخبار مصر و القاهرة ، ج6 ، تح : محمد حسين شمس الدين ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1413 هـ، ص 322.

الوقت نفسه أبحر بعض الصليبيين و من بينهم مؤرخ الحملة جوانفيل من مرسيليا في سبتمبر من العام نفسه و لحقوا بإخوانهم في قبرص بعد رحلة شاقة، و في قبرص تناقش الصليبيون في تحديد وجهة الحملة، و بعد دراسة مستفيضة تقرر ان تكون مصر هدف الحملة بسبب ما أدركه الصليبيون من أهمية مصر لقوتها و ثروتها و قيامها بالدفاع عن الأراضي المقدسة، و أمضت الحملة في قبرص حوالي ثمانية أشهر (سبتمبر 1248 م / مايو 1249 م)، رغم رغبة الملك في التقدم بسرعة نحو مصر، ولكنه نزل عن رغبته لنصيحة قواده الذي آثروا الإنتظار حتى يلحق بالحملة بقية الجيش الذي لم يصل بعد إلى قبرص، و قد عاد التأخير بالفائدة على القيادة الإسلامية في مصر، لأنها سارعت بالإستعداد لمواجهة الحملة، و أثناء وجود قوات الحملة السابعة في قبرص حدثت تطورات غاية في الأهمية أثرت على مجريات الحملة فيما بعد، و من هذه التطورات :

1- الأخبار التي وصلت على مصر معلمة بأخبار الحملة الصليبية السابعة و قد كان ذلك عن طريق الإمبراطور فريديريك تحذر الصالح أيوب من هذه الحملة، حيث يقول فريديريك : إنه وصل ريد فرانسيس - لويس التاسع - في خلق كثير، و قد إجتهدت غاية الإجتهداد على رده عن قصده و خوفه فلم يرجع لقولي فكن على حذر منه<sup>1</sup>.

2- المصاعب التي رافقت الحملة منذ إبحارها من شواطئ فرنسا و حتى وصولها قبرص و منها الأمراض التي أملت بالجيش الفرنسي، و الخوف و الضجر الذي رافق مسيرة الحملة، و قد عبر عن ذلك مؤرخ الصليبية السابعة جوانفيل بقوله : لم نعد نرى الأرض، ما نراه هو الماء و السماء، و في كل يوم تأخذنا الريح بعيداً عن الأرض التي ولدنا فيها، و لاحقت الأمراض الجيش الفرنسي اثناء وجوده في قبرص، و يشير احد المؤرخين الأوربيين ذلك بقوله : إن 240 من السادة و كبار القوم قد تعرضوا للموت بسبب المرض<sup>2</sup>.

3- الإختلاف بين قائد الحملة و الأمراء حول تاريخ التحرك إلى مصر، و قد كانت الآراء ما بين الدعوة إلى التحرك السريع لهدفهم و هو مصر، و رأي آخر يدعو إلى التريث و البقاء في قبرص لفترة يتم خلالها إستكمال الإستعدادات و الراحة للجيش الصليبي، و إستقر الرأي على تأخير موعد تحرك

1- جبران نعمان، العبادي محمد حسن، دراسات في تاريخ الأيوبيين و المماليك ، ط1 ، مؤسسة حمادة ، أريد - الأردن،

2000م، ص 210

2- سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ط4، مكتبة الانجلو المصرية، مصر 1986م، ص 108.

الجيش إلى فصل الربيع، و بهذا تكون الحملة قد أمضت في قبرص من (سبتمبر 1248 - مايو 1249 م)، حصلت خلالها القوات الصليبية على بعض المساعدات من القبارصة<sup>1</sup>.

4- ما وصل إلى لويس من أخبار عن صراعات بين القوى المسيحية في الشرق و بخاصة الصراع الذي نشب بين ملك أرمينيا و أمراء أنطاكية، و ما كان لذلك من تأثير على الجبهة الصليبية التي يريد لويس التاسع ان تكون في وضع يؤهلها لتقديم المساعدات له عند وصوله إلى مصر و بلاد الشام.

5- واجهت الحملة في قبرص بعض الصعوبات، و منها الصعوبات المالية نظراً لطول الفترة الزمنية التي قضتها جيوش الحملة في قبرص، و كان ممن تعرض إلى ضائقة مالية مؤرخ الحملة جوفانفيل و الذي اضطر للاستدانة، وطلب المساعدة من لويس التاسع و حصل منه على أقل مما يكفيه، ويقول روبرت نايني حول ذلك : لقد كان من حسن الحظ أن تمكن جوفانفيل من الحصول على هذه المساعدة و إلا لكان غادر قبرص عائداً إلى فرنسا، و حينها لم يكن استطاع أن يكتب كتابه المهم عن هذه الحملة، و إضافة إلى الصعوبات المالية فقد واجهت القوات الصليبية و لويس التاسع علاقات متذبذبة مع ملك قبرص.

6- من الأحداث المهمة و المرتبطة بالحملة الصليبية السابعة أثناء وجود قائدها و قواتها في قبرص الاتصالات التي جرت مع المغول، وفقاً لرواية مؤرخ الحملة الصليبية السابعة جوفانفيل، فإن حاكم المغول أرسل رسولين من قبله وصلاً إلى قبرص و كان من جملة ما ورد في الرسائل التي يحملانها : أن ملك التتار يبدي إستعداده لمعاونة لويس التاسع في التحرك لغزو الأرض المقدسة بهدف تخليص القبر المقدس من ايدي المسلمين، ويهمننا أن نشير إلى أن المبعوثين من قبل المغول هما شخصيتان مسيحيان النساطرة، أحدهم يسمى داود و الثاني مارك، و قد إستقبلا بحفاوة من قبل الصليبيين و مكثا في قبرص من ديسمبر 1248 - يناير 1249 م، حيث غادرا و معهما وفد من قبل لويس لمقابلة القائد العسكري المغولي الجيغداي، و الذي يدوره سيؤمن وصول الوفد المبعوث من قبل لويس التاسع إلى الحاكم المغولي في قراقوم و على أي حال فإن هذه الاتصالات لم تثمر عن أي مساعدة فعلية للطرف الصليبي في غزوه لمصر و بلاد الشام، و أحد أسباب فشل محاولات التحالف المغولية الصليبية يعود على النظرة المغولية المتعالية حيال القوى المختلفة، حيث كان المغول يرون ضرورة تبعية جميع القوى لهم، و لم يقبلوا مبدأ الندية أو التماثل في التعامل، و فيما يتعلق بهذه المحاولة فتشير المصادر

إلى أن ردود المغول على لويس التاسع جاء متأخراً حيث وصلتته ردودهم في قيسارية فلسطين سنة 1251 م أي بعد إنتهاء الحملة الصليبية السابعة و فشلها.

و حين قرر لويس التاسع التحرك من قبرص إلى هدفه و هو مصر صادفته صعوبات أخرى، و منها ان الأسطول الذي كان يستعد للإبحار به قد تعرض إلى عاصفة دمرت الكثير من سفنه، و هذا دعاه إلى توجيه نداء إلى الصليبيين في عكا لتزويده بسفن لنقل جنوده إلى ميدان المعركة إلا ان ظروف الصراع و الاقتتال بين مجموعات الجنوبية و البنادقة في عكا حال دون تقديمهم اية مساعدة في هذا المجال، و زاد من تعقيد الأمور أن خطته لغزو الأراضي المصرية أصبحت معلومة لدى الطرف الأيوبي، مما جعل الصالح أيوب يتحرك من بلاد الشام إلى مصر، و قد سبق ان أشرنا إلى أن تحركات الحملة الصليبية السابعة أصبحت معروفة للطرف الأيوبي من خلال رسائل فريدريك الثاني، وجوايسيس الصالح أيوب في قبرص، هذه الظروف المحيطة بالحملة جعلت أحد المؤرخين الأوربيين يقول: عن هذه الأحداث و كأنها إشارة من الرب للويس التاسع تقول له : عليك العودة إلى فرنسا، فالحملة التي تقود فاشلة و حاول إنقاذ ما يمكن إنقاذه.

المبحث الثالث : احتلال دمياط :

أبحرت سفن لويس التاسع مغادرة الموانئ القبرصية (ليماسول) في 13 مايو 1249 م، ووصلت إلى قبالة دمياط في يوم 4 حزيران 1249، و بدأت أولى جهود الصليبيين موجهة إلى مدينة دمياط للسيطرة عليها، ورغم ما قام به الأيوبيون من تحصين سابق للمدينة إلا ان دمياط سقطت بيد الصليبيين عليها ما ثار استغراب عند الصليبيين و المسلمين، و قد عبر المؤرخون المسلمون و الصليبيون عن ذلك، فالمقريري يقول : أصبح الفرنج يوم الأحد لسبع بقين من صفر سائرين إلى مدينة دمياط، فعندما رأوا أبوابها مفتحة، و لا أحد يحميها خشوا أن تكون مكيدة، فتمهلوا حتى ظهر أن الناس قد فروا و تركوها، فدخلوا المدينة بغير كلفة و لا مؤنة حصار، و قد ألقوا المصادر باللائمة على أحد القادة العسكريين في الطرف الإسلامي في سبب سقوط دمياط، و هذا القائد هو الأمير فخر الدين بن الشيخ، إضافة إلى أن بعض أفراد القبائل العربية و التي عهد إليها الصالح أيوب بالدفاع عن المدينة و هم بني كنانة قد تركوها و انسحب هؤلاء جميعاً إلى حيث يوجد معسكر الملك الصالح أيوب في منطقة أشموم طنح، كما و هرب بعض عرب كنانة الذين عهد إليهم الملك الصالح أيوب بالدفاع عن المدينة و تركوا أبواب المدينة مفتوحة، و فاتهم عند فرارهم أن يقطعوا الجسر الذي يربطها بالضفة الغربية للنيل و أصبحت دمياط بذلك مدينة مفتوحة، فدخلتها القوات الصليبية في 23 صفر / 6 حزيران، و تملكها بغير قتال<sup>1</sup>.

و ابتهج الصليبيون باستلائهم على دمياط بتلك السهولة، و في المقابل إرتاع المسلمون لسقوطها، و حزن الصالح أيوب حزناً شديداً، فعنف مماليكه و ونجهم لإهمالهم في الدفاع عنها، و شنع ما يزيد عن خمسين من رجال بني كنانة الذي تركوا مواقعه الدفاعية و هربوا<sup>2</sup>، بعد أن استفتى الفقهاء وأفتوا بقتلهم<sup>3</sup>.

و الواقع أن فخر الدين يوسف يتحمل جزءاً كبيراً من المسؤولية، و قد أطنب المقريري في وصف ما حدث فقال : فلما رأى أهل دمياط رحيل العسكر، خرجوا كأنما يسحبون على وجوههم طول الليل،

1- علي محمد الصلابي ، مرجع سابق ، ص ص 300 - 301.

2 - احمد بن علي المقريري، السلوك لمعفرة دول الملوك ، ج 1 ، تح : مصطفى زيادة، دار الكتب، القاهرة، 1972م، ص 438.

3 - محمد عمارة، الوعي بالتاريخ و صناعة التاريخ ، ط2 ، دار الرشد ، د . م . ن ، 1417 هـ / 1997م، ص 70.

و لم يبقى بالمدينة احد البتة، و صارت دمياط فارغة من الناس جملة، و فروا إلى أشموم مع العسكر، و هم حفاة عراة جياع فقراء، حيارى بمن معهم من الأطفال و النساء و ساروا على القاهرة، فنهبهم الناس في الطريق، و لم يبقى لهم ما يعيشون به فعدت هذه الفعلة من الأمير فخر الدين من أقبح ما يشنع به، و قد كانت دمياط في أيام الملك الكامل، لما نازلها الفرنج، أقل ذخائر و عدداً منها في هذه النوبة، و مع ذلك لم يقدر الفرنج على أخذها غلا بعد سنة، عندما فني أهلها بالبواء و الجوع، و كان فيها هذه المرة أيضاً جماعة من شجعان بني كنانة فلم يغني ذلك شيئاً. .. و عندما وصلت العساكر إلى أشموم طناح و معهم أهل دمياط اشتد حنق السلطان على الكنانيين، و أمر بشنقهم فقالوا : وما ذنبنا إذا كانت عساكره جميعهم و أمراؤه هربوا و أحرقوا الزرخاناه، فأبي شيء نعمل نحن ؟ فشنقوا لكونهم خرجوا من المدينة بغير إذن حتى تسلمها الفرنج، فكانت عدة من شنق زيادة على خمسين أميراً من الكنانيين و كان فيهم أمير خشين وله ابن جميل الصورة، فقال أبوه : بالله أشنقوني قبل ابني، فقال السلطان لا بل اشنقوه قبل أبيه، فشنق الابن، ثم شنق الأب من بعده بعد أن استفتت السلطان الفقهاء فأفتوا بقتلهم<sup>1</sup>.

و تغير السلطان على الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ، و قال : أما قدرتم تقفون ساعة بين يدي الفرنج ؟ و ما قتل منكم إلا هذا الضيف الشيخ نجم الدين و كان الوقت لا يسع إلا الصبر و التغاضي، و قامت الشناعة من كل أحد على الأمير فخر الدين، فخاف كثير من الأمراء و غيرهم سطوة السلطان، و هموا بقتله، فأشار عليهم فخر الدين بالصبر حتى يتبين أمر السلطان فإنه على خطة، و إن مات كانت الراحة منه و إلا فهو بين أيديكم، و يجدر الإشارة إلى أهمية اختيار الشخص القادر على قيادة المقاومة بدمياط، و يفترض في الملك الصالح أيوب أن يدقق في اختيار الرجل المناسب لامتناس الصدمات الأولى في الصليبيين و بذلك يتحمل الملك الصالح أيوب المسؤولية في هذه الجبهة المشتعلة مع الصليبيين.

### I. مراسلة لويس التاسع للسلطان الصالح أيوب :

قبل سيطرة القوات الصليبية على دمياط أرسل الملك لويس رسائل تهديد على الصالح نجم الدين أيوب يتضح من خلالها الثقة البالغة التي عبر عنها بمطالب طلبها من الطرف الأيوبي<sup>2</sup> كدعوة

1 - محمد عمارة، مرجع سابق، ص 70.

2 - الصلاحي، مرجع سابق، ص 302.

الاستسلام و إرجاع الأراضي المقدسة للصليبيين، بل و اعتبار الصالح أيوب أحد نواب لويس التاسع، و قد أوردت المصادر الإسلامية بعض نصوص هذه الرسائل، و منها النص الذي ذكره صاحب كتاب كنز الدرر، و هو كالتالي : أما بعد، فإنه غير خافٍ عنك أن أمل جزائر الأندلس يحملون إلينا الأموال و الهدايا، و نحن نسوقهم سوق البقر و نقتل منهم الرجل و نرمل النساء و نستأسر البنات و الصبيان، و نحلي منهم الديار، و قد ابدت لك ما فيه الكفاية، و بذلك لن النصح إلى النهاية، فلو حلفت لي بكل الأيمان و دخلت على القسوس و الرهبان و حملت قدامي الشمع طاعة للصبيان، ما ردني ذلك عن الوصول إليك، و قتلك في أعز البقاع عليك، فإن كانت البلاد لي، فيا هدية حصلت في يدي، و إن كانت البلاد لك و الغلبة عليك، فيدك العليا ممتدة إلي، و قد عرفتك و حذرتك من عساكر قد حضرت في طاعتي، تملأ السهل و الجبل، و عددهم كعدد الحصى، و هم مرسلون إليك بأسياف القضاء.

## II. رد السلطان الملك الصالح على لويس التاسع :

فلما وصل الكتاب إلى السلطان و قرئ عليه، أغر و رقت عيناه بالدموع و استرجع، فكتب الجواب بخط القاضي بهاء الدين زهير بن محمد كاتب الإنشاء، و نسخة بعد البسملة و صلواته على سيدنا محمد رسول الله و آله و صحبه أجمعين : أما بعد فإنه وصل كتابك و أنت تهدد فيه بكثرة جيوشك، و عدد أبطالك، فنحن ارباب السيوف، وما قتل منا قرن إلا جددناه، ولا بغى علينا باغٍ إلا دمرناه، فلو رات عينك أيها المغرور حد سيوفنا و عظم حروبنا و فتحنا منكم الحصون و السواحل، و احرابنا منكم ديار الأواخر و الأوائل، لكان لك أن تعض على أناملك بالندم، و لا بد أن تزل بك القدم في يوم اوله لنا و آخره عليك، فهنالك ننسى بك الظنون « وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ»، فإذا قرأت كتابي هذا، فكن فيه على أول سورة النحل : «أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ»، و كن على آخر سورة ص : «وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ»، و نعود إلى قول الله تعالى،

و هو أصدق القائلين<sup>1</sup>: « كَمِ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ »<sup>2</sup> ، و على قول الحكماء : لنا الباغي له مصرع، و إلى البلاء يقلب، و السلام<sup>3</sup>.

### III. تمركز المسلمين في المنصورة:

تجمعت القوات الإسلامية في المنصورة، وشرعت في شحن المدينة بالعتاد و إعدادها للمعركة المقبلة، و من ذلك إصلاح سور المدينة المحيط و زودت المدينة بالعتاد و المقاتلة، و ساعد على ذلك تطور عدد كبير من العربان و العامة إستعداداً لملاقاة الصليبيين، و خلال هذه المرحلة كان الصليبيون يعملون على تدعيم مركزهم في دمياط، و أخذوا يعملون بسرعة على تحويلها على مدينة ذات طابع نصراني، فحولوا المسجد إلى كنيسة باسم نوتردام و عينوا عليها أسقفاً كاثوليكياً، و اختصت الفئات الدينية الثلاث، الداوية و الاستبارية و التوتون بعمارة المدينة، و تم توزيع الإقطاعات على الأمراء و التجار، و ظلت دمياط طول شهر صيف عام 1249 م، عاصمة الصليبيين في الشرق و توقفت الأعمال العسكرية بين الطرفين لمدة تقرب من خمسة أشهر و نصف، عمل كل طرف اثناءها على تدعيم مركزه، و كان بقاء القوات الصليبية في دمياط طول هذه الفترة قد عمل على اختلاط الحملة، فقد عملت هذه الفترة على فساد النظام و ساد الإفراط في المملدات حتى أصبح الملك لويس التاسع عاجزاً عن السيطرة على القوات الصليبية، و إذا كان هذا هو الحال في المعسكر الصليبي فقد كان العكس في المعسكر الإسلامي، فقد نجح المسلمون في إعادة تنظيم صفوفهم و بدئوا المناوشات مع القوات الصليبية و نجحوا في أسر بعضهم، و يذكر ابن واصل ان المسلمين نجحوا في أسر ما يقارب من ثلاثمائة أسير<sup>4</sup>.

### IV. وفاة الملك الصالح نجم الدين:

عندما قرر الصليبيون الزحف نحو القاهرة توفي الملك الصالح أيوب، و كانت محنة عظيمة ألمت بالمسلمين، و كان عمره عند وفاته 44 سنة، و قد عمد لولده الملك المعظم تورانشاه، و حلف له فخر الدين بن الشيخ و محسن الطواشي و من يثق به، و بعدما علم قبل موته عشرة آلاف علامة

<sup>1</sup> - علي محمد الصلابي ، الأيوبيون بعد صلاح الدين و الحملات الصليبية من الرابعة إلى السابعة ، ط 1 ، دار ابن الجوزي، القاهرة ، 2008 م، ص 302

<sup>2</sup> - سورة البقرة، الآية 249.

<sup>3</sup> - علي محمد الصلابي، المرجع نفسه، ص 303

<sup>4</sup> - محمود سعيد عمران، مرجع سابق، ص 311.

يستعان بها في المكاتبات على كتمان موته حتى يقدم ابنه تورانشاه من حصن كيفا و كانت مدة ملكه في مصر عشر سنين إلا خمسين يوماً، فغسله أحد الحكماء الذين تولوا علاجه لكي يخفي موته، و حمل في تابوت إلى قلعة الروضة، و أخفي موته و لم يشتهر على ثاني عشر رمضان، ثم نقل بعد ذلك بمدة إلى تربته بجوار المدارس الصالحية بالقاهرة<sup>1</sup>.

و الملك الصالح لما تولى على مملكة مصر أكثر من شراء المماليك و جعلهم معظم عسكره، و قبض على الأمراء الذين كانوا عند أبيه و أخيه، و اعتقلهم و قطع اخبارهم و أعطى مماليكه الامريات، فصاروا بطانته و المحيطين بدلهيز وكان ملكاً شجاعاً حازماً مهيباً، لشدة سطوته و فخامته، مع عزة النفس و علو الهمة، و كثرة الحياء و طهارة الذيل عن الخنا و صيانة اللسان من الفحش في القول و الإعراض عن الهزل و الغيث بالكلية، و شدة الوقار و لزوم الصمت، حتى إنه كان إذا خرج من عند حرمة إلى مماليكه، أخذتهم الرعدة عندما يشاهدونه خوفاً منه، و لا يبقى أحد منهم مع أحد، و كان إذا جلس مع ندمانه كان صامتاً، لا يستفزه الطرب و لا يتحرك و جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، و إذا تكلم مع أحد من خواصه، كان ما يقوله كلمات نزره و هي في غاية الوقار، و تلك الكلمات لا تكون إلا في مهم عظيم، و من استشارة أو تقدم بأمر من الأمور المهمة، لا يعد و حديثه قد هذا النحو، و لا يجسر ابتداء البتة، و لا إنه جسر على شفاعته و لا مشورة و لا ذكر نصيحة، ما لم يكن ذلك بابتداء من السلطان، فإذا انفرد بنفسه لا يدنوا منه أحد و لم يسمع منه قد في حق أحد من خدمه لفظة فحش، و أكثر ما يقول إذا شتم أحداً : (متخلف)، و لا يزيد على هذه الكلمة، و لا عرف قط من النكاح سوى زوجته و جواريه.

و كانت البلاد في أيامه آمنة مطمئنة و الطرق سابلة إلا أنه كان عظيم الكبر زائد الترفع من كبره، و ترفعه أن ابنه الملك المغيث لما حبسه الملك الصالح إسماعيل عنده لم يسأله فيه ولا طلبه منه، حتى مات في حبسه، و كان يجب جمع المال، بحيث أنه عاقب عليه أم أخيه الملك العادل، إلى أن أخذ منها مالاً عظيماً و جواهر نفيسة، و قتل السلطان الملك الصالح أيوب أخاه الملك العادل، و من حين قتله ما انتفع بالحياة و لا تهنى بها، فنزل به المرض و طرقة الفرنج، و قبض على جميع أمراء الدولة، و أخذ أموالهم و ذخائرهم و مات في حبوسه ما ينيف على خمسة آلاف نفس، سوى من قتل و غرق من الأشرفية في البحر، و لم يكن له مع ذلك ميل إلى العلم و لا مطالعة الكتب، إلا أنه

<sup>1</sup> - احمد بن علي المقرئزي ، مرجع سابق، ص 442.

كان يجري على أهل العلم و الصلاح و المعاليم، من غير أن يخالطهم، و لم يخالط غيرهم، لمحبته في العزلة، و رغبته في الانفراد، و ملازمته للصمت و مداومته على الوقار و السكون، و كان يحب العمارة و يبنيها بنفسه، و عمر بمصر ما لم يعمره أحد من ملوك بني أيوب، فأنشأ قلعة الروضة تجاه مدينة فسطاط مصر، و أنفق فيها أموالاً جمّة، و هدم كنيسة كانت هناك للعاقبة من النصارى، و أسكن بهذه القلعة ألف مملوك من الترك - و قيل : ثمانمائة -، و أقام جسراً من مصر إلى الروضة، يمر عليه الأمراء و غيرهم إذا جاؤوا إلى الخدمة، و لم يكن أحد يمر على هذا الجسر راكباً إحتراماً للسلطان، فجاءت هذه القلعة من أجل مباني الملوك.

و بنى أيضاً على النيل بناحية اللوق قصوراً بلغت في الحسن، جعلها إلى جانبي ميدانه الذي يلعب فيه بالكرة، و كان مغرم بلعبها، و بنى قصراً عظيماً فيما بين القاهرة و مصر، سماه الكيش على الجبل بجوار جامع ابن طولون، و بنى قصراً بالقرب من العلا قيمة في أرض السائح، و جعل حوله مدينة سماها الصالحية فيها جامع و سوق، لتكون مركزاً للعساكر بأول الرمل الذي بين الشام و مصر، و كان له من الأولاد الملك المغيث فتح الدين عمر و هو أكبر أولاده، مات في سجن قلعة دمشق، و الملك المعظم غياث الدين تورانشاه، و ملك مصر بعده، و الملك القاهر، و مات في حياته أيضاً و ولد له أيضاً من شجرة الدر ولد سماه خليلاً، مات صغيراً، و لما طال مرضه من الجراحة الناصورية و فسد مخرجه، و امتد الجرح إلى فخذة اليمنى، و أكل جسمه - اجتهد في مداواتها - و حدث له مرض السل من غير أن يظن به، فورد كتابه إلى الأمير حسام الدين بن أبي علي بالقاهرة : إن الجراحة قد صلحت و جفت رطوبتها و لم يبق إلا ركوبي و لعبي بالصولجة، فتأخذ حظك من هذه البشرية، و في الحقيقة لم تجف الجراحة إلا ل فراغ المواد و تزايد عليه بعد ذلك المرض حتى مات، و قيل : إنه لم يعهد إلى أحد بالملك، بل قال للمير حسام الدين بن أبي علي : إذا مت لا تسلم البلاد إلى للخليفة المستعصم بالله، ليرى فيها رأيه، فإنه كان يعرف ما في ولده المعظم تورانشاه من الهوج<sup>1</sup>.

## V. زحف الصليبيين نحو القاهرة:

و قرر الصليبيون الزحف صوب القاهرة بعدما وصلت إليهم بعض الإمدادات، و رتب الملك لويس حراسة قوية لحراسة المدينة بعد تحرك القوات الصليبية، و في هذه المرحلة مات السلطان الصالح

<sup>1</sup> - علي محمد الصلابي، مرجع سابق، ص 305.

أيوب، و كانت محنة عظيمة أمت بالمسلمين، و لكن زوجته شجرة الدر ظهرت على مسرح الأحداث، و أدركت خطورة إذاعة هذا الخبر على الجند، فقررت إخفاء خبر الوفاة و لم يعرف بذلك إلا الخاصة، و زورت وثيقة تحمل توقيع السلطان بتعيين ابنه تورانشاه قائداً عاماً للجيش و نائباً للسلطان أثناء مرضه، و خلال ذلك كان الصليبيون يتحركون جنوباً فوصلوا على مدينة فارسكور في الثاني عشر من ديسمبر 1249 م، و منها تقدموا إلى شار مساح ثم البرامون و أصبح بحراً أشموم هو الفاصل بين المسلمين و الصليبيين، و عند هذه المرحلة توقفت القوات الصليبية و أقامت معسكرها على الضفة الشمالية و عملت على تأمين معسكرها بحفر الخنادق و إقامة المتاريس، و ظلوا على هذا حوالي شهر و نصف، ثم شرعوا في بناء جسر ليعبروا عليه على الضفة الجنوبية لبحر أشموم، و لم تكن عملية إقامة الجسر بالأمر الهين فقد امطرهم المسلمون وابلأً من القذائف، و لم يتمكنوا من إقامته.

و أخيراً نجح الصليبيون في التعرف على المخاضة - دلم عليها أحد العربات، و في رواية أحد الأقباط بعدما رشوه بالمال - تمكنهم من العبور إلى المعسكر الإسلامي، و كانت خطة الملك لويس أن يعبر هو و إخوته و جزء كبير من الجيش المخاضة إلى الجنوب، و يقوم بقية الجيش الصليبي بحراسة المعسكر الصليبي، و بعد إتمام عملية العبور تقوم الفرقة المخصصة للحراسة باستكمال عملية إقامة الجسر، و إذا ما تم النصر على القوات الإسلامية في المنصورة يتقدم الجيش الصليبي إلى القاهرة، و عبرت القوات الصليبية في عجز الثامن من فبراير عام 1250 م، و كانت عملية شاقة و بطيئة بسبب عمق المخاضة، و كان في طليعة القوات الصليبية الكونت أرتوا الذي شق على القوات الإسلامية المواجهة له هجوماً، و حقق نصراً عليها، و عندما وصلت هذه الأخبار على الأمير فخر الدين أسرع بدعوة القوات الإسلامية و التحم مع الصليبيين في معركة عنيفة وقع فيها فخر الدين شهيداً، فغسل بذلك عار انسحابه من جيزة دمياط، و اغتر الكونت أرتوا بالنصر الذي أحرزه و لم يبال بأوامر الملك لويس و نصائح القادة الصليبيين بالترث حتى تتكامل القوات الصليبية، و أراد ان ينفرد بشرف النصر لنفسه<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - محمود سعيد عمران، مرجع سابق، ص 312.

المبحث الرابع: معركة المنصورة و تورنشاه يقود المعركة :

و أضحى لروبرت أرتوا السيطرة على المعسكر الأيوبي، فاغتر بقوته، و تابع زحفه إلى المنصورة لاقتحامها و القضاء على الجيش الأيوبي، و أعرض عن توسلات الداوية بأن ينتظر وصول الملك و الجيش الرئيسي، و نصحه بعضهم بالحيلة و الحذر، ثم بادر باقتحام المنصورة، فأضحت المنصورة ساحة لحرب الشوارع، و تولى قيادة المصريين الأمير بيبرس البندقداري فأقام جنده في مراكز منيعة داخل المدينة، و انتظروا حتى تدفق الصليبيون بجمعهم إلى داخلها، و لما ادركوا أنهم بلغوا أسوار القلعة التي اتخذها المصريون مقراً لقيادتهم، خرج عليهم المماليك في الشوارع و الحارات و الدروب، و أمعنوا في قتالهم، و لم يستطع الصليبيون أن يلتمسوا لهم سبيلاً إلى الفرار، فوقع الاضطراب بين الفرسان، و لم يفلت من القتل إلا من ألقى بنفسه في النيل فمات عريقاً أو كان يقاتل في أطراف المدينة، و كانت المنصورة مقبرة الجيش الصليبي، و أول ابتداء النصر على الفرنج، و جزع لويس التاسع لتلك الصدمة، لكنه تلمك نفسه و بادر على إقامة خط أمامي لمواجهة ما يتوقعه من هجوم، من قبل فرسان المماليك ضد قواته، كما أقام جسراً من الصنوبر على مجرى البحر الصغير عبر عليه النيل مع رجاله، ووزع رماته على الطرف البعيد للنهر حتى يكفلوا الحماية للجند عند عبورهم متى دعت الضرورة إلى ذلك، لكن المماليك لم يتزكوه و شأنه، و بادروا إلى شن هجوم على المعسكر الصليبي، و قاد الملك الفرنسي المعركة بنفسه و أجبر المسلمين على التراجع نحو المنصورة<sup>1</sup>.

و على الرغم من الانتصار الصليبي إلا أن موقف الصليبيين أخذ يزداد سوءاً بسرعة واضحة، بعد أن قلت المؤن، كما فقدوا نسبة مرتفعة من فرسانهم في معركة المنصورة و انتشرت الأمراض في معسكرهم، و ظل الفرنسي زهاء ثمانية أسابيع في معسكره أمام المنصورة، أملاً بأن يحدث انقلاب في مصر أو يقوم المصريون بثورة على الحكم الأيوبي.

وصل تورانشاه إلى المنصورة في 17 ذي القعدة 647 هـ / 21 شباط 1250 م، بعد أن أعلن سلطاناً في دمشق، وهو في طريقه إلى مصر فأعلنت عندئذ وفاة الصالح أيوب، و سلمته شجرة الدر مقاليد الأمور، فأعد خطة عسكرية كفلت له النصر النهائي على الصليبيين، و كان وصوله على

<sup>1</sup> - محمود سعيد عمران، مرجع سابق، ص 312.

مصر إيداناً بإعادة ارتفاع الروح المعنوية عند المصريين، وبين صفوف المماليك (و تيمن الناس بطلعته)<sup>1</sup>.

و أمر بإنشاء أسطول من السفن الخفيفة نقلها إلى فروع النيل السفلى، و أنزلها في القنوات المتفرعة، فأخذت تعترض طريق السفن الصليبية التي تجلب المؤن للجنود من دمياط، فقطع بذلك الطريق عليها، و حال دون اتصال الصليبيين بقاعدتهم دمياط، و فقد الصليبيون عدداً كبيراً من سفنهم قدرتها المصادر بما يقارب من ثمان و خمسين سفينة، انقطع المدد من دمياط عن الفرنج، ووقع الغلاء عندهم، و صاروا محصورين لا يطيقون المقام، و لا يقدرّون على الذهاب و تشجع المسلمون و طمعوا فيهم، و أدرك لويس التاسع استحالة الزحف نحو القاهرة في ظل هذه الأوضاع، و بدأ يفكر في العودة إلى دمياط، و فعلاً أمر بالارتداد و أحرق الصليبيون ما عندهم من خشب، و أتلّفوا مراكبهم ليفروا إلى دمياط، كما ادرك ان عملية انسحاب لن تكون سهلة، و أن المماليك سوف يطاردون جيشه لذلك لجأ قبل أن يبدأ بعملية الانسحاب إلى فتح باب المفاوضات مع تورانشاه، على أساس ترك دمياط مقابل أخذ بيت المقدس.<sup>2</sup>

غير ان الوقت قد فات على مثل هذه المساومة، وكان طبيعياً لأن يرفض تورانشاه هذا الاقتراح، و بخاصة انه علم بمرح موقف الملك.

و في صباح 1 محرم عام 648 هـ / نيسان عام 1250 م، بدأت عملية الانسحاب، و نسي المهندسون الصليبيون أن يدمروا الجسر الذي أقاموه لاجتياز البحر الصغير فلم يلبث المماليك أن عبروه ورائهم، و قاموا بعملية مطاردة منظمة، و هاجمهم من كل ناحية، و بفضل ثبات الملك الفرني و حسن إدارته بعملية الانسحاب، وصل الصليبيون إلى شر مساح عند منتصف الطريق بين المنصورة و دمياط، لكن هذا الملك مريضاً، و أحاط المماليك بجيشه من كل جانب، وراحوا يختطفونهم، و شنوا عليهم هجوماً عاماً عند فارسكور و لم يقوى الملك على القتال، و تم تطويق الجيش بأكمله، و حلت به هزيمة منكرة، و وقع كل أفراده بين قتلى و جرحى و أسرى، و كان الملك لويس التاسع نفسه من بين الأسرى، حيث سيق مكبلاً على المنصورة، و سجن في دار فخر الدين إبراهيم بن

<sup>1</sup> - علي محمد الصلابي، مرجع سابق، ص 306-307.

<sup>2</sup> - محمد سهيل طقوش، تاريخ الايوبيين في مصر، بلاد الشام و إقليم الجزيرة، ط1، دار النفائس للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت - لبنان، 1420هـ/ 1999م، ص 388.

لقمان، و عهد على الطواش صبيح العظمي بحراسته و خصص من يقوم بخدمته، و كانت معظم الحرب في فارسكور، فبلغت عدة القتلى عشرة آلاف في قول المقل و ثلاثين ألفاً في المكتر، و أسر من الفرنج عشرات الألوف بما فيهم ضاعتهم و سوقتهم، و غنم المسلمون من الخيل و البغال و الأموال ما لا يحصى كثرة، و أبلت الطائفة البحرية - لاسيما بيبرس البندقداري -، في هذه النوبة بلاءً حسناً، و بان لهم أثر جميل<sup>1</sup>.

و تعددت صور شجاعة هؤلاء المماليك في التصدي لأعداء الإسلام، و شهد التاريخ بسالة الذي لعبه المماليك في مقاومة الصليبيين<sup>2</sup>.

إن الكونت بواتيه و الكونت فلاندر و بعض قادة قواتهم كانوا يرسلون إلى الملك لويس يتوسلون إليه أن يقصر عن الحركة لعجزهم عن متابعته لضغط المماليك الشديد عليهم. ثم جاء للكونست بل جندي كان يحمل صولجاناً و يرتحف خوفاً، و أخبره ان الترك قد أحدقوا بالملك و أنه في خطر عظيم فرجعنا، فابصرنا بيننا و بينه ما لا يقل عن ألف مملوك و الملك قريباً من النهر و المماليك يدفعون قواته و يضربون السيوف و الصولجانات، و أرغموا القوات الأخرى على التقهقر<sup>3</sup>. و قد وصفهم أحد المؤرخين في تلك المعركة بقوله : و الله لقد كنت أسمع زعقات الترك كالرعد القاصف، و نظرت على لمعان سيوفهم و بريقها كالبرق الخاطف، فله درهم لقد أحبوا في ذلك اليوم الإسلام من جديد بكل أسد من الترك قلبه أقوى من الحديد، فلم تكن إلا ساعة و إذا بالإفرنج قد ولوا على أعقابهم منهزمين و أسود الترك لأكتاف خنازير الإفرنج ملتزمين، و تضمن انتصارات المماليك على الصليبيين أنهم استطاعوا الاستيلاء على ثمانين سفينة من سفن الصليبيين بعد أن قاموا بسحب بضعة سفن من سفن المسلمين على اليابسة ثم انزلوها ثانية على الماء على بعد فرسخ من

<sup>1</sup> - شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت 733 هـ) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج 29 ، تح : نجيب مصطفى فواز و حكمت كشلي فواز ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، 1424 هـ، ص 356.

<sup>2</sup> - علي محمد الصلابي، مرجع سابق، ص 308.

<sup>3</sup> - جان دو جوانفيل ، تاريخ القديس لويس حياته و حملاته على مصر و الشام ، تر : د/ حسن حبشي، ، دار المعارف ، مصر 1986 م، ص 139.

شمال معسكرهم، فاستحالت عودة الفرنج الذين ذهبوا إلى دمياط لجلب المؤنة، و تم قتل جميع بحارة الثمانين سفينة، كما استولوا على اثنين و ثلاثين مركبا مما أضعفهم و طلبوا الصلح<sup>1</sup>.

### I. بشائر النصر تعلن للمسلمين :

كتب تورانشاه في أعقاب المعركة إلى الأمير جمال الدين بن يغمور نائب دمشق كتاب بخطه نصه : من ولده تورانشاه، الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن<sup>2</sup>، «وَمَا أَلْتَصِرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ»<sup>3</sup>، «وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ \* بِنَصْرِ اللَّهِ»<sup>4</sup>، «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ»<sup>5</sup>، «وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا»<sup>6</sup>، نبشّر المجلس الشامي الجمالي، بل نبشّر المسلمين كافة بما من الله به على المسلمين من الظفر بعدو الدين، فإنه استفحل أمره و استحکم شره، و بئس العباد من البلاد و الأهل و الأولاد، فنودوا لا تئسوا من روح الله، و لما كان يوم الإثنين مستهل السنة المباركة، تم الله على الإسلام بركتها، فتحنا الخزائن و بدلنا الأموال و فرقنا السلاح و جمعنا العريان و المطوعة و خلقاً لا يعلمهم إلا الله، فجاءوا من كل فج عميق و مكان سحيق، فلما كانت ليلة الأربعاء تركوا خيامهم و أموالهم و أنقأهم و قصدوا دمياط هارين، و ما زال السيف يعمل في أديبارهم عامة الليل، فيوحلّ بهم الخزي و الويل، فلما أصبحنا يوم الأربعاء قتلنا منهم ثلاثين ألفاً، غير من ألقى نفسه من اللجج، و أما الأسرى فحدث عن البحر و لا حرج، و التجأ الفرنسيين على المنية و طلب الأمان فأمناه و أخذناه و أكرمناه و تسلمنا دمياط بعون الله و قوته و جلاله و عظمته، و ذكر كلاماً طويلاً، و بعث المعظم مع الكتاب غفارة - زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس تحت القلنسوة - الملك لويس التاسع فلبسها الأمير جمال الدين بن يغمور.<sup>7</sup>

<sup>1</sup> - نجوى كمال كيرة، الجوّاري و الغلمان في مصر في العصر الفاطمي و الأيوبي ، ط1 ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة - مصر ، 2007 م، ص 406/405..

<sup>2</sup> - علي محمد الصلاب، مرجع سابق، ص 309.

<sup>3</sup> - سورة الانفال، الآية 10.

<sup>4</sup> - سورة الروم، الآية 4.

<sup>5</sup> - سورة الضحى، الآية 11.

<sup>6</sup> - سورة النحل، الآية 18.

<sup>7</sup> - تقي الدين ابي العباس أحمد بن علي ابن عبد القادر العبيدي المقرئ، ت 845 هـ السلوك لمعرفة دول الملوك، ح1، تح: محمد عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1428هـ، ص 456.

## II. لويس التاسع في الأسر و شروط الصلح :

لم يهتم المسلمون كثيراً بعد انتصارهم بأمر دمياط، و نظروا على أبعد من ذلك، ففكروا باسترداد ما بأيدي الصليبيين في بلاد الشام، فاستغلوا وجود الملك الفرنسي في الأسر لتحقيق هذه الغاية، لكن لويس التاسع أجاب بأن هذه البلاد ليست في أملاكه، بل تخص الملك كونراد ابن الإمبراطور، فريدريك الثاني.<sup>1</sup>

و عبثاً حاول تورانشاه إرغامه على الاعتراف و أصر لويس التاسع على رأيه و قال : إنه أسيرهم، و لهم أن يفعلوا به ما يشاؤون، فبادر تورانشاه إلى إقفال هذا الموضوع لكنه قرر غزو بلاد الشام، و غالى في شروط الصلح إذ كان لزاماً على الملك الفرنسي أن :

- يفندي نفسه بان يؤدي مليون بزنته و هذا مبلغ كبير.
- يطلق سراح عدد كبير من الأسرى المسلمين.
- يسلم دمياط إلى المسلمين
- يستمر الصلح مدة عشر سنوات

وافق الملك الفرنسي على هذه الشروط، و أقسم الطرفان على احترامها، و انتظر لويس لبعض الوقت حيث كانت زوجته تعاني آلام الوضع، و أرسل بعض رجاله على دمياط لتسليمها للمسلمين، و دخلت القوات المدينة في السابع من مايو بعد ما ظلت في أيدي قوات لويس ما يقارب من عام، و دفع لويس نصف الفدية حسبما اتفق عليه و أطلق سراح الصليبيين من البر الشرقي على جيزة دمياط ثم تبعهم باقي الصليبيين، و في الأحد الرابع من صفر عام 648 هـ، الموافق للثامن من مايو عام 1250 م، أقلعت سفن الفرنج و اتخذت طريقها على عكا حاملة فلول الحملة بعد أن أنهكتها الهزائم، و حلت بها الكوارث.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - جان دو جوانفيل، مرجع سابق، ص 157.

<sup>2</sup> - محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية، ط2، دار النهضة العربية، . م. ن، 1999م، ص315.

نهاية الحملة الصليبية

الفصل الثالث

السابعة

المبحث الأول: أسباب الهزيمة

المبحث الثاني: نتائج الحملة الصليبية

السابعة

الذاتية

بعد هذا العرض لموضوع الحملة الصليبية السابعة على مصر فإننا توصلنا من خلاله إلى مجموعة من النتائج هي عبارة عن ملخص لكل ما ذكرناه آنفاً :

- تبنى البابا أنوسنت الرابع الحملة الصليبية السابعة و أعلن تأييده لها ، و كانت دعواه عاملاً فعلاً في إعدادها ، فضلاً عن لويس التاسع الذي أخذ على عاتقه مهمة النهوض بالحملة و قد إستغرق إعداد الحملة ثلاث سنوات ، و فرضت ضرائب إستثنائية على الجميع.

- عندما قرر الصليبيون الزحف نحو القاهرة توفي الملك الصالح أيوب و كانت محنة عظيمة أملت بالمسلمين ، و كان عمره عند وفاته 44 سنة ، و قد عهد لولده الملك المعظم تورانشاه.

- قرر الصليبيون الزحف صوب القاهرة بعدما وصلت إليهم بعض الإمدادات ، و رتب الملك لويس حراسة قوية لحراسة المدينة بعد تحرك القوات الصليبية ، و ظهرت على مسرح الأحداث شجرة الدر و قررت إخفاء خبر وفاة زوجها الملك الصالح أيوب.

- عندما وصل تورانشاه ابن الملك الصالح أيوب مصر أعلنت شجرة الدر وفاة زوجها و سلمت مقاليد الأمور للسلطان الجديد ، فأعد خطة عسكرية كفلت له النصر النهائي على الصليبيين و وقع لويس التاسع في الأسر.

- ساهمت مجموعة من الأسباب في هزيمة الحملة الصليبية السابعة و التي من أهمها : التطوير العسكري الذي حدث في الجيش الأيوبي و رافق هذا التطوير الاهتمام الديني به من حيث التربية و التعليم حتى أصبحت كتائب المماليك تدافع عن عقيدة الإسلام ، و أصبحت الدولة تحتفظ بجيش عقائدي و منظم و مدرب ، و من الأسباب أيضاً وحدى الصف الإسلامي ، فقد كانت مصر و الشام تحت زعامة واحدة ولاحت بشائر النصر منذ وصول الجيوش الشامية إلى مصر ، و كان السلطان الصالح أيوب يتمتع بنفوذ حقيق على رجال دولته و قادة جيوشه ، و كانت أهم صفة يتحلى بها الجند الإسلامي هي الطاعة لأوامر قائدهم ، كما كان لنزول العلماء و الفقهاء أثر في سحق الأعداء و الإنتصار عليهم ، فقد إنضم إلى صفوف المجاهدين كوكبة من العلماء ، كالعز بن عبد السلام و غيره ، كما ساهم في الهزيمة عوامل أخرى.

• كان من نتائج الحملة الصليبية السابعة ، عجز فرنسا عن تحقيق أهدافها ، إتاحة فرصة لظهور المماليك و وصولهم للحكم ، تضرر الاقتصاد الأوربي ، تخريب مدينة دمياط ، حزن عظيم في فرنسا و أوروبا ، و إضطرابات سياسية تسببت في عودة لويس التاسع إلى أوروبا ، ضعف الروح الصليبية.

لقد حاز العالم العربي في الظاهر نصراً مبيئاً ، و إذا كان الغرب قد سعى بإحتياجاته المتلاحقة إلى إحتواء المد الإسلامي فقد جاءت النتيجة معاكسة تماماً ، فما كان للدويلات الفرنجية في الشرق أن تقتلع و حسب بعد قرنين من الإستعمار ، بل إن المسلمين نهضوا إلى درجة أنهم سوف ينطلقون لغزو أوروبا بالذات تحت الراية العثمانية ، ففي عام 1453 م وقعت القسطنطينية في قبضتهم ، و في عام 1529 م ، كان فرسانهم يعسكرون تحت اسوار فيينا.

و لكنه لم يكن ، كما قلنا سوى مظهر ، إذ لا بد بعد مرور الزمن من ملاحظة كان العالم العربي في عهد الحروب الصليبية من إسبانيا على العراق لا يزال فكراً و مادياً خازن أرقى حضارة على وجه الأرض ، و لسوف ينتقل مركز العالم بعدها بعزم و تصميم إلى الغرب ، أيكون في ذلك علاقة سبب إلى نتيجة ؟ و هل يمكن الذهاب إلى حد التأكيد بأن الحروب الصليبية قد أطلقت إشارة نهضة أوروبا الغربية التي ستتوصل بالتدرج إلى الهيمنة على العالم و دقت تغير مود الحضارة الغربية ؟ و من غير أن يكون هذا الحكم خاطئاً ينبغي تمييز فوارقه ، لقد كان العرب يشكون ، حتى قبل الحروب الصليبية ، من بعض "عاهات" أبرزها الوجود الفرنجي إلى النور ، و ربما فاقمها ، و لكنه لم يخلقها من لا شيء.

لقد كان شعب النبي قد فقد منذ القرن التاسع التحكم بمصيره فمسؤولوه كانوا جميعهم عملياً من الغرباء ، فمن الذي كان عربياً من كل هذا الحشد من الأشخاص الذين رأيناهم يمشون أمامنا خلال قرني الاحتلال الفرنجي.

و في حين كان عهد الحروب الصليبية شرارة ثورة حقيقية إقتصادية و ثقافية معاً بالنسبة على أوروبا الغربية فإن هذه الحروب المقدسة ستقضي في الشرق إلى عصور طويلة من الإنحطاط و الظلامية

، فالعالم و إنعدم فيه التسامح ، و غدا عقيماً ، و تكثر المواقف المستفحلة في الوقت الذي تتابع فيه دورة الكوكب التطورية التي يشعر إيزاءها بأنه على الهامش و بات التقدم هو الطرف الاخر ، و الحداثة هي الطرف الآخر ، أفكان عليه تثبيت هويته الثقافية و الدينية برفض هذه الحداثة التي يمثلها الغرب ؟ أم كان عليه بالعكس من ذلك السير بعزم على درب الحداثة مخاطر بفقد هويته ؟ لم تنجح إيران و لا تركيا و لا العالم العربي في إيجاد حل لهذا المأزق ، و هذا هو السبب في أننا لا نزال نشهد ترجحاً كثيراً ما يكون عنيفاً بين مراحل من التغرب الإضطراري و أخرى من الأصولية المفرطة الشديدة الكراهية للأجنبي.

و إذا كان العالم العربي معجباً و مرتاعاً معاً من هؤلاء الفرنج الذين عرفهم برابرة و إنتصر عليهم ، و إن كانوا قد نجحوا مذاك في الهيمنة على الدنيا ، فإنه لا يستطيع أن يصمم على إعتبار الحروب الصليبية مجرد فصل من ماضٍ إنتهى ، وكثيراً ما يدهش المرء عندما يكتشف إلى أي مدى ظل موقف العرب ، و المسلمين بعامه ، متأثراً على اليوم أيضاً ، بأحداث يفترض انه إنتهى أجلها منذ سبعة قرون.

و من جهة أخرى فإن المسؤولين السياسيين و الدينيين في العالم العربي لا يزالون ن عشية الألف الثالث يستشهدون بصلاح الدين و سقوط القدس و إستعادتها ، وتشبه إسرائيل في المفهوم الشعبي كما في بعض الخطب الرسمية بدولة صليبية جديدة ، و من فصائل جيش التحرير الفلسطيني الثلاثة يحمل واحد إسم "حطين" و آخر إسم "عين جالوت" ، و كان الرئيس عبد الناصر في إبان مجده يقارن بصلاح الدين الذي كان مثله قد وحد الشام و مصر ، و حتى اليمن و اما حملة السويس في 1956 م ، فقد نظر إليها على قدم المساواة مع حملة 1191 م ، على انها حملة صليبية بقيادة الفرنسيين و الإنجليز.

و كان وقع هذه الهزيمة شديداً على بقية الصليبيين فبادروا إلى الإستسلام بدون مقاومة ، و هكذا إستسلمت تباعاً مدن (صور - صيدا - بيروت - طرطوس) ، و كانت هذه الجولة هي الصورة الأخيرة من صور الصراع المرير بين المسلمين و الصليبيين في المشرق الإسلامي ، ذلك الصراع الذي

إستمر قرنين من الزمن (490 – 690 هـ) ، إتصل أثناءهما العالمان المسيحي و الإسلامي ، و كان لكل منهما أثر في الآخر ، و كان غنم المسيحيين أكبر و أوفر ، فقد إستفادت أوربا المسيحية من إحتكاكها بالعالم الإسلامي فوائد كثيرة كان لها أبعاد الأثر في نهضتها الحديثة ، و خروجها الفي الحالة التي كانت عليها من جهالة و بعدٍ عن الحضارة.

المبيليو خرافية

أولاً : المصادر

القرآن الكريم:

- 1- ابن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت 874 هـ) ، النجوم الزاهرة في أخبار مصر و القاهرة ، ج6 ، تح : محمد حسين شمس الدين ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1413 هـ.
- 2- المقرئزي تقي الدين أحمد ، السلوك لمغفرة دول الملوك ، ج1 ، تح : مصطفى زيادة ، د . ط ، د . د . ن ، القاهرة ، 1936 م .
- 3- ابن خلكان شمس الدين أحمد بن محمد ، وفيات الأعيان و أبناء أبناء الزمان ، تح : إحسان عباس ، مج3 ، د . ط ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان ، 1969 م .
- 4- ابن شداد عز الدين أبو عبد الله ، الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة ، ج2 ، د . ط ، تح : سامي الدهان ، د . د . ن ، دمشق : 1956 م .
- 5- ابن الأثير أبو الحسن علي بن أب الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت 555 - 639 هـ) ، الكامل في التاريخ ، ج10 ، د . ط ، د . د . ن ، د . م . ن ، د . ت . ط .
- 6- الأصفهاني عماد الدين الكاتب أبي عبد الله محمد بن محمد بن حامد المتوفي 597 هـ ، حروب صلاح الدين و فتح بيت المقدس (الفتح القسي في الفتح القدسي) ، تح : إبراهيم شمس الدين ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، 1424 هـ / 2003 م .
- 7- ابن كثير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر ، البداية و النهاية ، ج13 ، د . ن ، د . م . ن ، د . ت . ط .
- 8- المقرئزي أحمد بن علي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تح : محمد مصطفى زيادة ، د . ط ، دار الكتب ن القاهرة ، 1972 م

- 9- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733 هـ) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج 29 ، تح : نجيب مصطفى فواز و حكمت كشلي فواز ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، 1424 هـ.
- 10- المقدسي أبو شامة ، الروضتين في أخبار الدولتين : النورية و الصلاحية ، د . ط ، د . د . ن . م . ن ، د . ت . ط .
- 11- ابن الجوزي البغدادي جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد (ت 597 هـ / 1200م) ، المنتظم في تاريخ الملوم والأمم ، ج8 ، د . ط ، د . د . ن ، د . م . ن ، 2010 م.
- 12- ابن شداد ، النوادر السلطانية ، د . ط ، د . د . ن ، د . م . ن ، د . ت . ط .
- 13- المقرئ أحمد بن علي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج 1 ، د . ط ، د . د . ن ، د . م . ن ، د . ت . ط .
- 14- الأصفهاني أبي عبد الله محمد بن حامد ، حروب صلاح الدين و فتح بيت المقدس ، د . ط ، دار المنار ، د . م . ن ، د . ت . ط .
- 15- جوانفيل جان دو ، تاريخ القديس لويس حياته و حملاته على مصر و الشام ، تر : د / حسن حبشي ، د . ط ، دار المعارف ، مصر 1986 م.
- 16- الغامدي ، بلاد الشام قبيل الغزو المغولي 589 - 657 هـ / 1193 - 1259 م ، د . ط ، د . د . ن ، مكة المكرمة ، 1988 م.
- 17- الشريف محمد حسن عقيل ، تسبيح و مناجاة و ثناء على ملك الأرض و السماء ، ط1 ، دار الاندلس الخضراء ، د . م . ن ، 1421 هـ / 2000 م.

ثانياً : المراجع :

- 1- المغلوث سامي بن عبد الله بن أحمد ، أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي في العصور الوسطى ، ط 1 ، شركة العبيكات للأبحاث و التطوير ، الرياض ، 1430 هـ / 2009م.
- 2- أبو دية أيوب ، حروب الفرنج .... حروب لا صليبية ، ط 1 ، دار الفارابي ، بيروت - لبنان ، 2004 م
- 3- أبو الخليل شوقي ، حطين بقيادة صلاح الدين الأيوبي ، ط 1 ، دار الفكر ، دمشق ، جمادى الأولى 1426 هـ / حزيران يونيو 2005 م.
- 4- البواعنة لؤي ، دور العلماء المسلمين في مقاومة الغزو الفرنجي (الصليبي) للمشرق الإسلامي (490-648 هـ / 1097-1250 م) ، د . ط ، دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع ، عمان - الأردن ، 2006 م.
- 5- الصلابي علي محمد ، الدولة الفاطمية ، ط 1 ، مؤسسة إقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة ، القاهرة ، 1427 هـ / 2006 م.
- 6- الصلابي علي محمد ، القائد المجاهد نور الدين محمود زنكي شخصيته و عمره ، ط 1 ، مؤسسة إقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة ، القاهرة ، 1428 هـ / 2007 م.
- 7- الصلابي علي محمد ، صلاح الدين وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية و تحرير بيت المقدس ، ط 1 ، دار المعرفة للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان ، 1429 هـ / 2008 م.
- 8- الصلابي علي محمد ، الأيوبيون بعد صلاح الدين و الحملات الصليبية من الرابعة إلى السابعة ، ط 1 ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، 2008 م.
- 9- أ . د/ العبادي أحمد مختار ، في التاريخ الأيوبي و المملوكي ، د . ط ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 2006 م.

- 10- الكنانى مصطفى حسن محمد ، العلاقات بين جنوى و الفاطميين في الشرق الدنى  
 1095 م - 1171 م / 488 - 567 هـ ، ط 1 ، (أضواء جديدة على الحركة الصليبية) ، د .  
 ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، 1981 م .
- 11- المطوي محمد العروسي ، الحروب الصليبية في المشرق و المغرب ، طبعة جديدة و  
 منقحة ، دار الغرب الإسلامى ، تونس ، 1982 م .
- 12- العسلى بسام ، قادة الحروب الصليبية (المسلمون) ، ط 1 ، دار النفائس للطباعة و  
 النشر و التوزيع ، بيروت - لبنان ، 1433 هـ - 2012 م
- 13- الفياض زيد بن عبد العزيز ، قاهر الصليبيين صلاح الدين الأيوبي ، ط 2 ، دار الألوكة  
 للنشر ، الرياض - المملكة العربية السعودية ، 1437 هـ
- 14- حمادة محمد ماهر ، وثائق الحروب الصليبية و الغزو المغول للعالم الإسلامى 489 -  
 797 هـ / 1096 - 1404 م ، ط 1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1399 هـ / 1979 م .
- 15- بدوى أحمد ، صلاح الدين بين شعراء عصره و كتابه ، د . ط ، دار القلم ، القاهرة ،  
 1960 م .
- 16- بدوى أحمد بدوى أحمد ، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر و الشام ، ط  
 2 ، دار النهضة مصر للطباعة و النشر ، القاهرة 1979 م .
- 17- د / حسن محمود ، الحروب الصليبية في شمال إفريقيا و أثرها الحضارى سنة 688 -  
 792 هـ / 1270 - 1390 م ، ط 1 ، دار عمار ، عمان - الأردن ، 1419 هـ / 1998 م .
- 18- د / جبران نعمان و د / العبادى محمد حسن ، دراسات في تاريخ الأيوبيين و المماليك ،  
 ط 1 ، مؤسسة حمادة ، أريد - الأردن ، 2000 م
- 19- زيادة محمد مصطفى ، حملة لويس التاسع على مصر و هزيمته في المنصورة ، ط 1 ،  
 المجلس الأعلى لرعاية الفنون و الآداب و العلوم الاجتماعية ، القاهرة ، 2000 م .

- 20- أ - د/ زكار سهيل ، الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية الحملة الثالثة ، ج 31 ، د . د . ن ، دمشق ، 1418 هـ / 1998 م .
- 21- عاشور سعيد ، الحركة الصليبية ، ط 4 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر ، 1986 م .
- 22- عاشور سعيد عبد الفتاح و د/ غنيم إسمت ، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، د . ط ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، 1976م
- 23- علوان عبد الفتاح ناصح ، صلاح الدين الأيوبي بطل حطين و محرر القدس من الصليبيين 532 - 589 هـ ، د . ط ، دار السلام للطباعة و النشر و التوزيع و الترجمة ، د . م . ن ، 1975 م
- 24- عاشور سعيد عبد الفتاح ، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى ، ج 2 ، ط 9 ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مصر ، 2010 م
- 25- د / عبد المهدي عبد الجليل ، بيت المقدس في أدب الحروب الصليبية 492-648 هـ ، مطبعة أروى ، وزارة الثقافة ، عمان - الأردن ، 2013 م
- 26- عمارة محمد ، الوعي بالتاريخ و صناعة التاريخ ، ط 2 ، دار الرشد ، د . م . ن ، 1417 هـ / 1997 م
- 27- د / عمران سعيد محمود ، تاريخ الحروب الصليبية 1095-1291 م ، د . ط ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2007 م .
- 28- عمران محمود سعيد ، تاريخ الحروب الصليبية ، ط 1 ، دار النهضة العربية ، د . م . ن ، 1999م
- 29- عمران سعيد محمود ، تاريخ الحروب الصليبية ، ط 2 ، دار النهضة العربية ، د . م . ن ، 1999 م
- 30- عمران محمد سعيد ، تاريخ الحروب الصليبية 1095-1291 م ، د . ط ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2000م

- 31- عوض محمد مؤنس ، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق و الغرب في القرنين 12-13 م / 6-7 هـ ، ط 1 ، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، مصر ، 1999/2000م
- 32- عوض محمد مؤنس ، الحروب الصليبية دراسات في التاريخ المقارن ، ط 1 ، دار العالم العربي ، القاهرة ، محرم 1431 هـ / يناير 2010 م.
- 33- د / عوف أحمد ، أحوال مصر من عصر لمصر ، د . ط ، العربي للنشر و التوزيع ، القاهرة ، د . ت . ط .
- 34- أ - د / طقوش محمد سهيل ، تاريخ الحروب الصليبية (حروب الفرنجة في المشرق) (489-690 هـ / 1096 - 1291 م) ، ط 1 ، دار النفائس للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت - لبنان ، 1432 هـ - 2011 م
- 35- غنيم إسمت ، الحملة الصليبية الرابعة و مسؤولية إنحرافها ضد القسطنطينية ، د . ط ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، 1982 م .
- 36- قاسم قاسم عبده ، ماهية الحروب الصليبية ، د . ط ، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأدب ، الكويت ، مايو 1990 م.
- 37- قاسم قاسم عبده ، ماهية الحروب الصليبية (الإيديولوجية ، الدوافع ، النتائج) ، ط 2 ، دار ذات السلاسل ، الكويت ، 1993 م.
- 38- كشك محمد جلال ، لمحات من حطين ، ط 1 ، لجنة القدس ، فلسطين ، يونيو 1985م.
- 39- كيرة نجوى كمال ، الجوارى و الغلمان في مصر في العصر الفاطمي و الأيوبي ، ط 1 ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة - مصر ، 2007 م.
- 40- د / محمود السيد، تاريخ القبائل العربية في عصر الدولتين الايوبية و المملوكية ، د . ط ، مؤسسة شباب الجامعة، د . م . ن ، 1998م

41- ماجد عبد المنعم ، ظهور الخلافة الفاطمية و سقوطها في مصر (التاريخ السياسي) ، ط4 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1414 هـ / 1994 م.

42- مقبل فهمي توفيق محمد ، شخصية الدولة الفاطمية في الحروب الصليبية ، د . ط ، د . د . ن ، د . م . ن ، د . ت . ط .

43- وهبة مصطفى ، موجز تاريخ الحروب الصليبية ، ط1 ، مكتبة الإيمان للنشر و التوزيع ، المنصورة ، 1418 هـ - 1997 م

44- يوسف جوزيف نسيم ، العدوان الصليبي على مصر (هزيمة لويس التاسع في المنصورة و فارسكور) ، د . ط ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981 م

#### ثالثاً : المراجع المعربة :

1- براون يوشع ، عالم الصليبيين ، تر و تع و تق : قاسم عبدو و قاسم و محمد خليفة حسن ، ط 1 ، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، الهرم - مصر ، 1999 م

2- رنسيما ستيفن ، تاريخ الحروب الصليبية ، تر : السيد الباز العريني ، ط2 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1981 م

3- غروسيه رونيه ، موجز تاريخ الحروب الصليبية في المشرق الإسلامي و شرقي حوض المتوسط ، تر : أحمد إيش ، ط1 ، مكتبة مؤمن قريش ، أبو ظبي ، 1435 هـ - 2014 م.

#### رابعاً : المجالات :

1- باقر أحمد و مبارك عبد الله ، الحروب الصليبية ، مجلة الهجرة نيويورك ، محرم 1402 هـ / ديسمبر 1981 م

2- حماد منى ، الأسرى و المسلمون و الصليبيون و طرق معاملتهم بين الإطار القانوني و الواقع التاريخي 490 - 586 هـ / 1097 - 1191 م ، مجلة الآداب و العلوم الاجتماعية ،

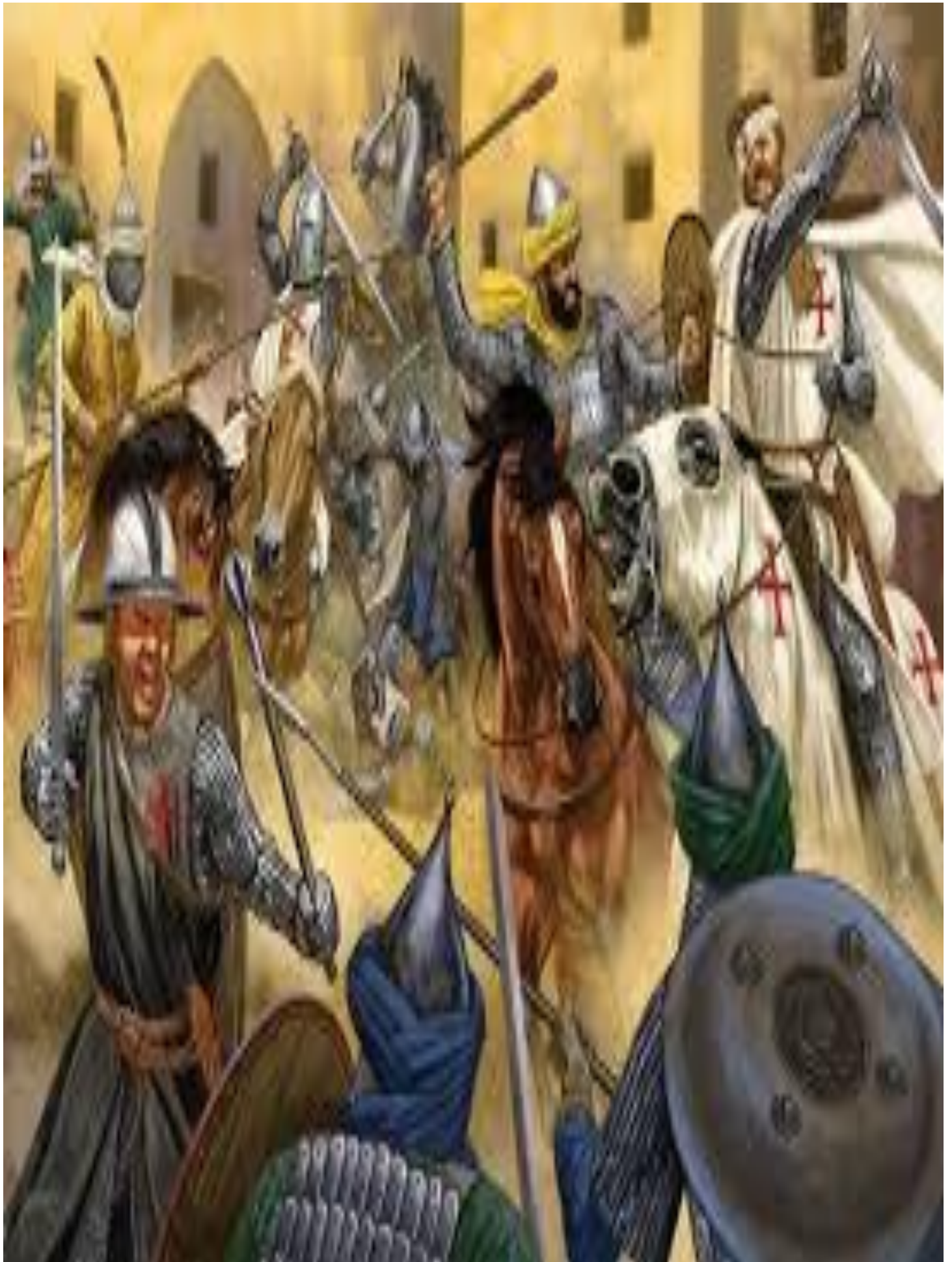
جامعة السلطان قابوس ، الأردن.

3- حمادي مصعب نجم ، دور التنظيمات الدينية العسكرية في حروب الصليبيين ضد مصر  
648-558 هـ / 1162 - 1250 م ، مج 7 ، مجلة كلية العلوم الإسلامية ، العدد 13 ،  
الموصل ، 1434 هـ - 2013 م.

خامساً : الرسائل الجامعية:

1- الحمداني فاطمة زبار ، الملك الصالح أيوب و إنجازاته السياسية و العسكرية ،  
رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، 1995م.

الملاحق



# الحملة الصليبية

السادسة 645-648 هـ

